ذكريات

# على تلال مكة

بنت الهدى

دار المعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

مذكرات الحج

بنت الهُدى

# مذكرات الحج واحكامه

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

**جميع الحقوق محفوظة للناشر**

دار التعارف للمطبوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

# وأخيراً...

بدت خيوط الفجر المضيئة لتنذر بميلاد يوم جديد ، واليوم يختلف تأثيره في حيـاة الانسان مع اختلاف مـــا يضم بين ساعاته من عطاء وما يحمل لمن يمد بهم أو يمد عليهم مـــن فائدة ورواء ، ولهذا ·· فقد يطول اليوم ويطول تبعا لامتداد آثاره التي يتركها في حياة الانسان وقد يكون قصيرا جـدا ينتهي مع انتهاء ساعاته المعدودة ·

ويومنا ذاك ·· كان حريا ان يكون طويلا بآثاره خالـدا بعطاءاته ·

ثم ·· انطلقت بشائر الصبح لتعلن النهاية لساعات الليل التي كانت طويلة بدقائقها اذا قيست بما ضمت من افكار وما حملت من آمال وآلام ، وقصيرة بالنسبة لساعات النوم التي تقلص عددها خلالها الى النزر القليل ·· وكان الصباح نديا بقطرات المطر مضللا بقطـع السحاب الشيء الذي جعله غير مشرق في مظهره الخارجي وان كان في واقعه يحمل معاني اشراقة الرحمة وهو ينفتح عن فترة زمنية تنطلق بها ارواح المؤمنين في مسيرتها نحو الله ملبية في ترجيعها ذلك النـداء

الخالد الذي أمر الله عز وجل به نبي الله ابراهيم اذ قال عز من قائل :

( واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ٠٠ )

وكان علينا ان نغادر البيت متوجهين نحو المطار ، فوقفت لالقي نظرة اخيرة على ما اعدته من متاع للسفرة الطويلة البعيدة الاغوار خشية ان يكون هناك ما أهمل أو أغفل ولم تكن مجموع الامتعة لتتعدى ٠٠ حقيبة واحدة فماذا عسى ان يصحب معه ذلك الانسان الراحل الى بيت الله ؟ أو ليس هو منطلق للحج نحو بيت كان خلال نشأته الاولى بواد غير ذي زرع ؟ نعم أو ليس وهو منطلق نحو تلك الرحاب يعيش مفهوم دعاء نبي الله ابراهيم حينما يقول :

( رب انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ) ٠

وهكذا كان ٠٠

فقد بقي هذا البيت كعبة للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها تندثر الحضارات وتتلاشى مع كل ما تحمل معها من جلال وشموخ ويبقى هو خالدا مع خلود الدهر شامخا مع شموخ الحق ، اذن ٠٠ فماذا عسى أن يحمل معه هذا الذي طمح بآماله الى المثول في تلك الرحاب ؟ بعض متطلبات الحياة الضرورية مع قرآن كريم ٠ وكتاب للدعاء ٠

ومنسك لاعمال الحج · ومصباح صغير لجمع الحصى من المشعر · ثم دفتر للخواطر وقلم للكتابة · وجواز سفر أخضر وجواز صحي أصفر !!!

ووقفت أتأكد من وجود هذه الاشياء وأضع الجواز في مكان قريب لانه هو الذي يفتح أمامي مغاليق الحدود ومن تلك الوقفة انطلقت بافكاري الى ·· ما أعددته من متاع لسفري الطويل ، فسفرتي هذه كان من المفروض لها ان لا تتجاوز السبعة عشر يوما ، أما تلك السفرة فهي طويلة وطويلة جدا عميقة وعميقة الى حد بعيد ·· انها بدون عودة · وبدون خط رجعة ، انها نقلة من هذه الحياة الفانية الى حياة أبدية باقية · فما احوجها الى متاع وما أحوجني خلالها الى زاد ؟ ·· لنفرض مثلا انني نسيت حاجة أو اهملتها فان من السهل اليسير علي ان اعوض عنها بما أجده هناك ولكن خلال سفرتي تلك حيث لا عودة بعدها ولا رجعة فماذا عساي أن أصنع ان وجدت نفسي قد أهملت حمل الزاد أو تجاهلت اهمية المتاع ؟؟ ··

عندما أعلن لنا ( متعهد القافلة ) ان علينا ان نصحب معنا غطاء بادرنا الى حمل ذلك بدون ابطاء فلماذا ؟ لانه خبير بطبيعة الجو ·· ولانه هو الذي سوف يقوم باحضار حوائجنا فيعلم ما سوف يهيؤه لنا وما علينا ان نعده لانفسنا ولكن ·· عندما نسمع الى الرسول الاعظم وهو يتلو علينا آي الكتاب قائلا « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » نسمع بدون استماع ·· ونقرأ بدون اقتناع ·· ونطمع

بالمغفرة بدون زاد ·· عجيب !! فهل تـرانا كنا نأمـل بالدفء في سفرتنا تلك بدون غطاء ؟ هل كان من الممكـن ان نقول ان المتعـهد رجل كريم فلنذهب معـه بدون غطـاء وهو ولا شك سوف يهيىء لنا ما يدفع عنا غوائـل البرد ؟! أبدا ان هذا غير معقول لانه غير مسؤول عن ذلك مـا دام قد أنذرنا واعلمنا بما لنا وما علينا ··

أما ما أمرنا الله به من زاد وما أوصانـا بحمله مـن متاع فنحن نتجاهله ونتناساه ثـم نعيش على امل ان يغفر لنـا الله برحمته ويشملنا برضاه !!!

★ ★ ★

وارتفعت بنا الطائرة ·· بعد ان عقدنـا نية الاحـرام ونحن لا نزال علـى ارض مطـار بغداد ورددنا كلمات التلبية قائـلات « لبيك اللهـم لبيك ، لبيك لا شريـك لك لبيـك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريـك لك لبيك » ··

ورأءنا الشمس تشرق علينا صافـية نقيـة تهبنا الدفء وتغمرنا بالضياء فاستغربنا ذلـك وقد كانت الغيوم تضللنا قبل دقائق وترشنا بقطرات متلاحقـة مـن المطر ! فهل ان في الامكان ان يتغير الجـو فـي مثل هذه السرعـة ؟ ومـا أبعد البون بين هذه الشمس الدافئة التـي تشرق تحت سمـاء نقية صافية ·· وبين ذلك الضباب الذي كان يشمل جوانب أنظارنا قبل قليل ؟ حقا انه لامر عجيب ! هـذا التحـول الطارىء على صفحات السماء وهذا التبدل الحادث في أعالي

الافق ! أو لم نكن نتطلع الى السماء نبحث فيها وبين طبقات السحب التي تحجبها عن اثر الشمس ؟ أو لم تختلط قطرات المطر مع دموع المودعين ويتجاوب أنين الريح مع زفرات المفارقين ؟ فكيف حدث هذا يا ترى ؟ أهو استجابة لدعاء داع ابتهل الى الله قائلا : يا محول الاحوال حول حالنا الى أحسن حال ٠٠ أم ماذا ؟؟ واخيرا اكتشفنا الحقيقة فعرفنا ان الطائرة قد ارتفعت بنا فوق السحاب ، اذن فنحن الذين ارتفعنا عن السحاب وامطاره وليس السحاب هو ذلك الذي انكشف عنا بتحول سريع ، فما احلى ذلك وما أروع ان نكون محلقين باجسامنا في فضاء نقي وتحت شمس صافية الضياء تاركين وراءنا متاعب المطر ومصاعبه وقد كشف لنا ذلك الموقف حقيقة ما اكثر من يجهلها منا ٠٠ وهي ٠٠ ان الانسان يتمكن من الارتفاع بروحه وفكره عن سحب الريب وغيوم الجهل والانحراف ، نعم يرتفع بروحه عنها ليستنقذها نقية طاهرة دون ان تعلق بها شائبة أو يلوثها درن من الادران ٠٠ فهو يستطيع ذلك لو اراد حتى ولو عاش في أجواء مضللة بالغيوم ثم توصلنا الى حقيقة ثانية ايضا ٠٠ وهي ٠٠ ان على الانسان أن يسعى نحو مطلع النور بأي ثمن وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ولا يحول الانسان من الظلمات الى النور الا اذا شاء هو ذلك وعمل من أجل ان يكون مؤهلا لذلك التحويل ، فما أحلى ان نحلق بأنفسنا في سماء نقية كما حلقنا باجسامنا خلال رحلتنا بأجسامنا خلال رحلتنا تلك ، وما أروع ان نلتفت فنجد ذاتنا وقد

تنزهت عن الرذائل وحلقت في سماء الكمال تاركة وراءها ويلات الانحراف وآفات السقوط كما تركنا وراءنا ونحن في الطائرة الارض المغطاة بالوحول والآفاق الملبدة بالغيوم ٠

وبعد مضي مائة دقيقة أعلن لنا عن قرب هبوطنا الى مطار جدة ، وذلك يعني اننا سوف نكون بعد يوم أو يومين في مكة ٠٠ فما أعظم هذه الحقيقة وأضخم ما تعنيه وترددت في ذهني وعلى فمي هذه الابيات ٠٠

قالوا غدا نأتي ديار الحمى وينزل الركب بمغناهم
فكل من كان مطيعا لهم اصبح مسرورا بلقياهم
قلت فلي ذنب فما حيلتي بأي وجه أتلقاهم
قالوا أليس العفو من شأنهم لا سيما عمن ترجاهم
فجئتهم أسعى الى بابهم أرجوهم طورا واخشاهم

★ ★ ★

واستقرت بنا الطائرة على ارض مطار جدة بعد ان دارت فوق مدارجه دورات طويلة ، فحمدنا الله على سلامة الوصول وحسن التوفيق ٠٠ ثم تطلعت انظارنا نحو الباب تترقب الاذن بالنزول ٠ ومضت دقائق طوال لانها كانت مشوبة بالانتظار ٠٠ ومن خصائص الانتظار مهما كانت أنواعه وبواعثه واسبابه٠من خصائصه أن يضفي على الوقت مطاطية هائلة فيضاعف ادراكنا بأهميته الى اضعاف كثيرة ومضت فترة ثم طلب منا ان نبرز جوازاتنا الصحية !

فأمسك كل منا بجوازه ( الاصفر ) بين أنامله وكأنني انسان خرج لتوه من احدى المصحات ، وبقينا نتطلع نحو الباب في مزيج من اللهفة والضجر وبنظرات تنطلق بالاحتجاج ·· واخيرا انفتح باب الطائرة عن رجلين صعدا ليطمئنا على سلامة القادمين من الامراض (الوبائية) فتفحصا معظم الجوازات ومن العجيب اننا كنا ممن لم تصل اليهم عملية التفتيش ، وكأن سلامتنا بدت واضحة جلية دون معاينة ومزيد تدقيق ·· فكيف حصل هذا ؟ ولماذا ألسنا مثل باقي المسافرين ؟ انه عدم الاخلاص في العمل والاهمال لا اكثر ولا أقل ! والجواز الصحي عن أي شيء كان يحكي يا ترى ؟ انه كان يحمل شهادة التطعيم ضد الهيضة وضد الجدري ، ولم يكن هناك اي احتمال ان احد المسافرين مصاب فعلا بمرض الجدري أو مرض الهيضة ، لا ·· ولكن المطلوب التطعيم الوقائي وهو التأكد من أن هذا المسافر الوافد قد حصن نفسه عن التعرض لهذه الامراض أخذ المسافرون بالهبوط ·· وبقيت جالسة انتظر خلو السلم من الزحام فبدأت أفكر ·· تذكرت نزولي في مقري الاخير والجواز الصحي الذي أسال عنه من منكر ونكير واهمية كل تطعيم وقائي يشير اليه ذلك الجواز ، انهم يطالبونني بشهادة التلقيح ضد أمراض عديدة ، هذه الامراض التي يعاني المجتمع من ويلاتها الشيء الكثير نعم هذه الامراض التي لا تتولد لدى الانسان نتيجة ضعف جسم او قرب من المصابين وانما هي وليدة ضعف الايمان وتحلل الشخصية ، انها وليدة الذوبان في شخصيات

الآخرين مهما كانوا هؤلاء الآخرين ·· منحرفين أو مبتذلين أو متذبذبين ·· انـه مصل وقائي يهب للانسان حصانـة تقيه ويلات السقوط ·· نعم · ان الانسان ليسأل في مقره الاخير عن روحه لـماذا اطلقها وراء رغباتها بغير رقيب وعـن فكره لـمـاذا جعله يتجه حيث شاء دون تهذيب ؟ وعن قلبه كيف أهمله فجعل آماله وأمانيه تنمو أوراقـها وتمتد فروعها كالشجرة التي تفتقر الـى التشذيب ؟ انـه ليطالب بجواز صحي ومن أين له ذلك الجـواز ؟ الا اذا كان خلال حياته قد عمل على الوقاية وباشر عمليـة التطعيم ان الموظف السعودي قد يهمل أو يغفل كما أهملنا أو غفـل عنا ·· أما هناك ·· حيث يتلقانا ملائكة الله الموكلين بفحص ( جوازاتنا الصحية ) فليس فيهم من يغفل عن صغيرة كانت أو كبيرة لانهم « ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ··

★ ★ ★

وهبطنا الى مطار جدة ··

فكان هناك مجموعة من المسافرين قد اصطفوا على شكل نصف دائـرة منفتحة استعدادا لالتقـاط صـور تلفزيونية فانتحينا عنهم جانبا ·· فقـال لنا قـائل : هـلا تفضلتم بالاشتراك ؟ انه فلم تلفزيوني يعرض على الشاشة كاثر مرئي لهذه الرحلات !! ووددت لو أرد عليـه قائلـة : نحـن أيضا في حالة التقاط صور ·· ولكن اتـراه كان يفهم مـا الذي

أعنيه وبهذه العجالة ؟ فاكتفيت ان اقول له كلا ٠ ووقفت جانبا أشاهد الجماعة التي كانت تستعد للتصوير كان البعض منهم يصلح من مظهره والبعض الآخر يحاول ان يتقدم ليحتل مكانا احسن ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لانسان يشعر أنه في معرض تصوير فهو ولا شك يحاول أن يتجنب كل ما يشين من مظهره الخارجي او يؤثر عليه لكي يبدو على شاشة العرض بهيا متكاملا في وقفته تلك وارتسمت في فكري صورة للعرض الاكبر خلال يوم القيامة « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » فها هي أجهزة الالتقاط تتوجه نحونا كما كانت تتوجه منذ اصبحنا مشمولين بالتكليف الالهي في مسؤولية حمل الامانة التي عرضت على السماوات والارض فأبين ان يحملنها وحملها الانسان ، نعم ولكنها أجهزة التقاط تختلف عن هذه الاجهزة المادية المصطنعة ٠٠ أن هذه لا تتمكن ان تسجل سوى الغشاء الخارجي لجسم الانسان ، وحتى هذا فهي لا يسعها ان تصوره اذا حال بينها وبينه شيء ولو كان غطاء رقيقا ، أما تلك فهي تسجل حتى نظرات العيون وخواطر القلوب ٠٠

« يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » ٠٠ « ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا » اذن ٠٠ فلو عاش الانسان هذه الحقيقة ولو أحس بها خلال حركاته وسكناته ولمحاته ونظراته لحرص دائما وابدا أن يبرز بالشكل المرضي وان يحتل مكانا احسن يوم يعرض فلم حياته امام البشرية بدون غطاء ٠

ثم ٠٠ عرض علينا ان نتحدث امام شريط للتسجيل لنبشر اهلنا بسلامة الوصول ٠٠ عجيب ! ولكن أترانا كنا قد وصلنا ؟ ان المسافر لا يسجل لنفسه الوصول الا اذا وصل الى النقطة التي انطلق نحوها منذ البداية ـ ونحن كنا في انطلاقتنا تلك متوجهين نحو هدف معين لم يحققه لنا الوصول الى مطار جده ٠٠ ألم نكن سائرين في ركاب هذه الآية الكريمة « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ٠٠ اذن فأين نحن من الحج وأين نحن من السلامة ؟ سلامة الجسد لا تعني شيئا في حساب الراحل الى الله ٠٠ ولكن هي سلامة العمل وصحة الاداء ، فما اكثر سلامة الاجساد وما أقل سلامة الاعمال ٠٠

★ ★ ★

وصعدنا الى مدينة الحاج

وهي عمارة كبيرة تتألف من طوابق عديدة تحيطها عمارات وغرف واسعة وتشرف من احدى جوانبها على ساحة المطار ومن خصائصها انها ومع جميع ما قد تسبب الاقامة فيها من مضايقات ٠٠ انها تبعث في نفس الانسان نوعا من الانشراح والانطلاق ، وكأنها مرحلة انتقال شيقة ثم انها المنزل الاخير الذي ننطلق منه نحو بيت الله الحرام ، وكانت الغرفة التي توجهنا نحوها جانبية تطل على بعض شوارع مدينة جدة ومدخل مدينة الحاج ، واجتمعنا لاول مرة نحن النساء المسافرات ضمن القافلة في غرفة واحدة ، وبدأنا نتصفح الوجوه في تطلع لهفان ووددنا

لو وجدنا اثرا لطابع مميز يشمل الجميع طابع الشعور بالوحدة المنطلقة من وحدة الغاية واتحاد الهدف في الحج .. ولكن ..

وقمنا ببعض المحاولات للتعرف على رفيقات السفر فكان فيهن من تستجيب بتحفظ وفيهن من تلوي جيدها في شيء من اللامبالاة ( عدى من كانت معرفتنا بهن تسبق حدود هذه السفرة طبعا ) وقد كان الشعور الغالب على بعضهن هو التطلع الى ما في اسواق جدة من جديد !! وبما اننا كنا قد أحرمنا من مطار بغداد فقد عرضنا ذلك لبعض الاسئلة عن الاسباب التي دعتنا الى تقديم الاحرام فأخذنا نشرح طبيعة الحكم الشرعي في ذلك وكيف ان الاحرام يجب ان يكون من احد المواقيت الخمسة : الجحفة · يلملم قرن المنازل · مسجد الشجرة · وادي العقيق · ولا يصح الاحرام من غيرها الا بنذر شرعي ، والنذر الشرعي لا ينعقد الا اذا كان المكان الذي ينذر الاحرام منه أبعد عن مكة من الميقات أو بمحاذاته ومن أجل نفس هذا الحكم كنا نشاهد في مدينة الحاج مجاميع من الحجاج وهم في طريقهم الى الجحفة من أجل عقد نية الاحرام ، والجحفة تبعد عن جدة بمقدار (١٨٠) كيلو متر تقريبا ، وبتنا ليلتنا تلك في مدينة الحاج وكنا نحرص بعد أداء كل فريضة ان نراجع أحكام الحج في المنسك الذي صحبناه معنا فنعيد قراءة ما عرفناه ونتأكد من معرفة ما جهلناه ونتبادل نحن الستة شرح اعمال الحج ونؤكد على أعمال العمرة لانها اول فريضة تنتظرنا في مكة ، ولم يكن هذا من أجل

اهمال في التحضير من قبل أو غفلة عن سير احكام الحج واعماله . ولكنه كان على سبيل التأكيد والتجديد ثم أنه من أجل فتح المجال امام الاخريات للسؤال اذا كن في ريب من عمل اوشك في حكم من الاحكام وكانت أهم نقطتين واجهتنا في اصلاح احرام المحرمات من حولنا هي اولا : انهن كن يتجردن عن الجوارب فور عقدهن لنية الاحرام ويستعضن عنها بلبس السروال الطويل وذلك في اعتبارهن لسببين : **احدهما** وجوب اظهار ظهر القدم حال الاحرام **وثانيهما** جواز ابداء القدم امام الرجال ظنا منهن ان جواز كشف القدمين كجواز كشف الكفين مع ان وجوب كشف ظهر القدم حال الاحرام ليس الا احتياط استغنى عنه التشريع لعدم تأكده . هذا مع تأكد حرمة كشف القدمين امام الرجال الاجانب وعدم وجود مجال لمقايستها مع الكفين . فالاسلام حينما شرع الستر للمرأة كصيانة لكيانها ووقاية لوجودها الخاص ووجودها العام ضمن المجتمع وتجنيب لها وللمجتمع مغبة تكشفها امام الرجال ، حينما شرع ذلك لم يرد من وراء ذلك التشريع عزل المرأة عن الحياة أو حبسها عن مجالات التعايش السليم الطاهر مع المجتمع . ولهذا فقد اجاز لها كشف الوجه والكفين لانهما كل ما يحتاجه الانسان وأي انسان رجل كان او امرأة حينما يتفاعل مع الحياة في مختلف المجالات ان أي عمل او علم لا يحتاج الى ابراز الكتفين او ابراز جدائل الشعر مثلا ولكنه قد يكون في حاجة الى كشف الوجه والكفين وهذان هما ما أجاز التشريع للمرأة اظهارهما

عند الحاجة ، اما القدمان فما هو الشيء الذي يتوقف على كشفهما يا ترى ؟ وما هو الاثر غير المرضي الذي يتركه سترهما في مجالات الحياة ؟ لا شيء ابدا ، ولهذا يجب علينا ستر القدمين وابيح لنا كشف الكفين هذه هي النقطة الاولى ٠٠ اما النقطة الثانية ٠٠ فهي عدم اتقان مقدار ما ينبغي كشفه من الوجه حال الاحرام !! فنحن اذ نعرف ان احرام المرأة بوجهها ينبغي ان تلتزم بكشف الوجه من قصاص الشعر وحتى الذقن لا أكثر ولا اقل ، ولعل هذا يفتقر الى شيء من الدقة ولكن أهمية فريضة الحج عميقة وكبيرة جدا أفلا تستحق قليلا من الدقة والالتزام ؟؟ !

وركبنا السيارة في طريقنا الى مكة ٠٠ وهي سيارة كبيرة حمراء غير مكشوفة كتب عليها بالخط الابيض العريض كلمة ( التوفيق ) وكان هناك سيارة حمراء اخرى تساير سيارتنا وقد ركبها رجال القافلة ولم تكن تلك لتختلف عن هذه الا بكونها مكشوفة السقف تمشيا مع الحكم الشرعي الذي لا يجيز للرجل المحرم الاستظلال بالظل المتنقل . وما ان تحركت بنا السيارة حتى وجدت نفسي غارقة في دوامة من الانفعالات المختلفة التي هي مزيج بين الرضا والخوف والرهبة والرغبة والفرحة والحسرة ٠٠٠ وانطلقت أردد على لساني كلمات التلبية « لبيك اللهم لبيك » انها استجابة للنداء الخالد الذي أمر الله نبيه ابراهيم (ع) أن يطلقه في آذان البشرية ولكن اتراها استجابة كاملة ؟

ان التلبية تكون مخلصة صادقة الا اذا نطق بها اللسان واوحاها الفكر وصدقها القلب وأكدها العمل . ان حركة اللسان وحدها لا تكفي باعطاء مفهوم التلبية الا اذا تظافرت معها جميع الجوارح لدى الانسان ، « لبيك لا شريك لك لبيك » انه اقرار بالوحدانية وتأكيد على العبودية المطلقة « ان الحمد والنعمة لك والملك » نعم ان الحمد لله وحده لانه وحده صاحب كل نعمة ومصدر كل رحمة فهو المحمود الاول في كل ما يحمد عليه ، وهنا تذكرت كلمة للامام : ان شكري اياك يحتاج الى شكر ، ان يكون الانسان مقرا بالحمد والشكر لله لهي السعادة ما فوقها سعادة لما يتضمن ذلك الاقرار من مصادر رحمة وينابيع رضوان ، ـ ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » ومرة ثانية يتكرر في كلمات التلبية الاقرار بالوحدانية ، هذه الوحدانية التي تنطلق عنها وحدة الهدف ووحدة الغاية لكي يكون القصد في العبادة متوجها بمجموعه نحو الله نزيها عن الرياء بعيدا عن الخيلاء نقيا من شوائب الغرور وحب البروز أو الظهور خاليا مما يوجب الشرك المنافي لخلوص الاعمال لله ومن اجل طاعة الله .. ، واندمجنا مع كلمات التلبية حتى شارفنا ( الحديبية ) وهي أول حدود الحرم للقادم من جدة ، وهناك وجدنا السيارة الحمراء المكشوفة ( سيارة الرجال ) تنتظر ! واعلن لنا عن ضرورة تجديد نية الاحرام لمن احرم من جدة !!! واستغربت الامر ! لان الحديبية ليست ميقاتا للقادمين من العراق ! وعلى كل حال فقد وقع الكثير من الهرج والمرج بين المحرمات

المسكينات ، فتارة يطلب منها النزول واخرى يطلب منها العودة الى مقاعدهن ، ثم تتلى عليهن نية الاحرام من خارج السيارة وعن طريق مكبر للصوت فتأتي الكلمات ضعيفة غير واضحة فتتصاعد كلمات احتجاجهن « لم نسمع لم نعرف ماذا قال ، ومضت فترة صخب بين قيل وقال ثم انتهت بسلام والحمد لله ٠ وكنا نحن المحرمات من بغداد نحمد الله ما وفقنا اليه من صحة الاحرام وعدم احتياجه الى تجديد أو اتمام ثم سارت بنا السيارة من جديد وكنا نشعر ان كل ميل تطويه عجلاتها ( الكيلية ) تقربنا نحو الهدف فتخفق لذلك قلوبنا وكأنها تحاول أن تبعث من طاقاتها الحرارية قليلا من الحرارة في السائق الذي كان يبدو وهو لا يريد ان يكلف نفسه عناء الضغط على البنزين كانت أرواحنا تهتز مع طي الطريق في نشوة روحية خالصة فتود لو سابقت هذه العجلات الثقيلة التي لا تكاد تستجيب للمحرك بسهولة وهي لا تعلم ولا تشعر بما تحمل من شحنات آمال تتمنى لو سابقت الريح في الوصول الى رحاب الله واخيرا وبعد مضي ما يقرب من ساعتين بدت لنا من بعيد معالم مكة ٠٠ فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ٠٠

★ ★ ★

ووصلنا الى مكة ٠٠

وكانت الساعات الاولى من الليل قد انقضت ونحن في الطريق وتوجهنا نحو البيت الذي خصص لنزولنا وهو غير

بعيد عن الحرم والحمد لله فألقينا أمتعتنا وجددنا الطهارة ثم تهيأنا للذهاب الى الكعبة ، من أجل الاتيان بطواف العمرة ، وهناك طلب منا ان ننتظر لكي نتناول العشاء وبعد ذلك نذهب مع مجموع الحاجات وبحراسة من بعض مساعدي المتعهد ، ولكن أترانا كنا نتمكن من الانتظار ؟ وكل جارحة من جوارحنا قد استحالت الى لهفة وجميع مشاعرنا أخذت تنطق بالحنين ، فلقد كنا على موعد مع جبار السماء لنطوف حول الكعبة طالبين الغفران ولنسعى بين الصفا والمروة مبتغين الرضوان ، عندما يعيش الانسان في انتظار لقاء محبب اليه لا يعود يهنأ بشيء قبل أن يتحقق له ذلك اللقاء فهو يستحيل بجميع وجوده الى لهفة وانتظار وهل هناك ما هو احب الى الانسان من ساعة رحمة وآونة غفران ؟ ولهذا فقد عز علينا الانتظار ، ولماذا ننتظر يا ترى أمن أجل غذاء ؟ ! ٠

ولكن ما أهمية الغذاء المادي بالنسبة للغذاء الروحي الذي ينتظرنا هناك ، أم من أجل الحصول على حراسة الحارسين ؟ أو لم يقل امامنا جعفر الصادق (ع) في وصيته لمن يريد الحج الى بيت الله الحرام : ( ولا تعتمد على زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير ذلك عدوا ووبالا فان من ادعى رضا الله واعتمد على شيء سواه صيره عليه عدوا ووبالا ليعلم انه ليس له قوة ولا حيلة ولا لاحد الا بعصمة الله تعالى وتوفيقه ) اذن فليس هناك ما يدعونا الى الانتظار ٠٠٠

وانطلقنا نحن بمجموعتنا الصغيرة نحو بيت الله الحرام وكان الطريق الذي يفصل بيننا وبينه عبارة عن سوق يسمى بسوق الليل وهو مليء بزخارف الحياة التي عرضت للابصار بشكل يساعد على الاغراء ·· ولكن ·· أترانا كنا نبصر من هذه الزخارف شيئا ؟ ام ترانا كنا نتحسس آثار وجودها ونحن مندفعات نحو بيت الله الحرام تسبقنا الآمال بالغفران وتحدو بنا الاماني لنيل الرضوان ؟ ··

انها رحلة ·· تلك الخطوات ·· رحلة الانسان الذي هرب الى الله عز وجل من ذنوبه تائبا وعلى اخطائه نادما رحلة الانسان الذي يستشفع الى الله قائلا ( الى من يذهب العبد الا الى مولاه والى من يلتجىء المخلوق الا الى خالقه ) وقاربنا البيت المبارك وكنا نهبط في طريقنا اليه لانه في واد بين الجبال والمرتفعات · ولكنه هبوط جسمي يبعث الى الارتفاع الروحي وبلغ اسماعنا دوي السعاة وهم في مسيرتهم المباركة بين الصفا والمروة وكان لذلك الدوي المبهم الكلمات اعظم الاثر في الترهيب والترغيب فهل حقا اننا على بضع خطوات من بيت الله الحرام ؟ وهل حقا ان هذه النوافذ الحديدية المرتفعة تطل على أقدس بقعة خلقها الله وتشرف على أول بيت وضع للناس ؟ وهل حقا ان هذا الوجود الضعيف قد انطلق بآثامه واخطائه هاربا من الله الى الله وها هو قد اوشك ان يحظى بالمثول امام كعبة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ؟ انها نعمة لا يكاد يصدقها الانسان لنفسه ، وهذا الدوي الذي كلما دنونا نحوه اكثر تكشف عن كلمات تقول ( الله

اكبر لا اله الا الله · الحمد لله · لا اله الا الله وحده وحده · انجز وعده ونصر عبده · وغلب الاحزاب وحده ) هذه الكلمات هي التعبير الواضح عن كل ما يشتمل عليه الحج من شعارات ومفاهيم ، الوحدانية لله والخضوع لعبوديته والتوكل عليه ، والثقة بنصره لعباده الصالحين ·

★ ★ ★

ووقفنا أما الكعبة

وكانت وقفتنا من الجهة المقابلة للحجر الاسود حيث يجب ان يبدأ الطواف من هناك ، وكان المطاف محتشدا جدا لا تبدو منه سوى رؤوس رفعت وجوهها نحو السماء ترتجي الرحمة من العلي الاعلى وتهتف في قنوط المساكين قائلة ( اللهم اذي اليك فقير ، واني خائف مستجير ، فلا تغير جسمي ، ولا تبدل اسمي ) ·· ولاحظت صعوبة الطواف وهو في قمة ازدحامه،وتلفت حولي اتطلع الى الوجوه التي تقف الى جانبي ، وادرس مدى تمكنهن من خوض هذا البحر البشري الزاخر ، فاسعدني واراحني ان أجد اللهفة لديهن قد طغت على كل شيء فأمدتهن بطاقات من الارادة والتحمل والثبات والاصرار على بلوغ الهدف بأي ثمن ، فسمينا بسم الله الرحمن الرحيم وتراجعنا قليلا عن مواجهة الحجر الاسود لنطمئن من مرور جميع جسمنا امامه ثم ·· اندمجنا مع مجموع الطائفين ··

وبدأنا نفقد الاحساس بصعوبة السير وسط الحشد الهائل ولم نعد نبالي بما نتعرض اليه من ضيق بعد أن اندمجت جميع

مشاعرنا في ترديد هذه الكلمات ( اللهم ادخلني الجنة برحمتك . واجرني برحمتك ، يا ذا المن والطول والجود والكرم ، ان عملي ضعيف فضاعفه لي ، وتقبله مني ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مكان العائذ بك من النار ) .. وكنا كلما اكملنا دورة واحدة عددناها مع بعضنا بصوت مسموع لكي نتجنب الشك والنسيان فليس بغريب ان يندمج الانسان الطائف مع أهدافه وعطاءاته فينسى العدد والحساب ويبقى يدور ويدور وكأنه لا يريد الله يترك دورته حتى يستوثق من الغفران ، ولهذا كنا نهتم بحفظ العدد واتقانه فان الطواف هو رمز لدوران الانسان حول غاية يؤمن بها أو هدف يسعى اليه ، فهو يلف حولها لكي يبدأ من حيث ينتهي ، وهو يشعر الانسان انه انطلق من الله وسوف يعود الى الله وانه دار ضمن حدود وابعاد رسمها الله عز وجل فليس له ان يتعداها فينقص منها او يزيد ، ان دورته حول هذا الرمز الالهي ترسم له حدود تحركاته في الحياة فهو اذ يتحتم عليه هنا ان يدور بأقدام ثابتة ينقلها من فوق الارض باختياره يتحتم عليه ايضا خلال دورته الكبرى في دوامة الحياة ان لا تزل به قدم أو يندفع وراء غاية دون رؤية أو استبصار وهو في دورته المقدسة هذه اذا اندفع الى الامام بدون خطوات ثابتة عليه ان يعود من النقطة التي ارتفعت فيها قدماه عن الارض . يعود ليبدأ سيره من جديد وكذلك الحال في مسيرة الحياة فانه متى ما تعدى حدودها باندفاع

او انحراف له ان يعود ليباشر سيره من جديد وفقا للحدود التي حددها له الله عز وجل ـ وذلك ما يسمى بالتوبة » انه رمز يطبع بطابعه جميع تحركات الانسان في حياته القادمة خلال جميع مجالاتها وابعادها ، واكملنا دوراتنا السبع وقد كانت النهاية من حيث البداية وهي مواجهة الحجر الاسود ، وكما احتطنا فتأخرنا عن الحجر في البداية فقد احتطنا وتعدينا موضعه المبارك قليلا في النهاية ·· ثم انسحبنا من بين الجموع ونحن نحاول ان يكون انسحابنا هادئا لا يعيق طواف الطائفين وخرجنا وكل جارحة من جوارحنا تنطق بالحمد لله رب العالمين ·

★ ★ ★

وتوجهنا الى مقام ابراهيم لنصلي الى جواره او خلفه صلاة الطواف ، وهي ركعتان كصلاة الصبح لا تختلف عنها الا بالنية فقط ، وكانت تلك البقعة المباركة مليئة بالمصلين ولولا شمولنا بعين عناية الله ورحمته لتعذر علينا ان نجد لنا مصلى هناك وبدأنا نصلي على التعاقب لكي تحرس كل أربعة منا المصلية الواحدة مخافة ان تتعرض لما يفسد صلاتها من آثار الزحام ··· ومن هنا تبرز حقيقة جديدة لعميق أهمية الصلاة في حياة الانسان ، فهي تواكب حياته في اليوم خمس مرات وهي ترافقه حتى في عبادة الحج لكي لا يبتعد عن هذه الصلة الوثيقة التي تشده بالخالق دائما وابدا ، انها ركعتان لا غير ولهذا فهي صغيرة اذا قيست مع حجم عبادة الحج الكبير وضخامة أعماله وواجباته ،

ولكنها مع ركعاتها القليلة كانت ركنا من أهم أركان الحج. يجب الاتيان بها مع اتقان الكلمات والتأكد من الحركات وخلوص النية في الاداء ، « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ·· » انها سلاح هذه الصلاة سلاح يجند الانسان المصلي ليقف في خط الدفاع ، يدافع بها عن روحه ليحتفظ بها قوية عزيزة لا تعرف الخضوع لغير الله ولا تلتمس الرجاء الا من عند الله « اياك نعبد واياك نستعين » ويدافع بها عن فكره لكي لا يشمله الخمول أو يرهقه الشذوذ او تتعبه الحيرة والضياع والتذبذب والتيهان « اهدنا الصراط المستقيم » ويدافع بها عن وجوده كله عن اعصابه لكي لا يشدها اليأس وهو يتمكن أن يدعو من خلالها قائلا « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وعن اعضاء جسمه لكي لا يضعفها الخمول او يوهنها الجمود فيبعث فيها الحركة باتباعه لرياضة الصلاة وتفاعلها الصالح مع كل عضو من اعضائه وله ان يعبر عن ذلك خلال تحركاته فيها قائلا « بحول الله وقوته أقوم واقعد » ·· نعم انها سلاح قوي لا غنى للانسان عنه ولهذا نجده يواكب حياة الانسان ليجعله دائما وابدا قويا في دينه ثابتا في عقيدته صلبا في ارادته وابعاد وجوده وانتهينا من الصلاة وكانت صلاتنا خلف المقام المبارك بمكان قريب والحمد لله وكان علينا ان نتوجه بعد ذلك للسعي وقد كنا نشعر بالتعب ولكن ومن جديد عرفنا ·· كيف يتبلور التعب عن راحة . وكيف يتفتح العناء عن طاقات سعادة ، عرفنا

كيف يستحيل العذاب الى عذوبة وكيف تهب المرارة معنى الحلاوة ، كانت قلوبنا تخفق بشدة ولكننا لم نكن نعرف من تتابع خفقاتها انها مرهقة ولم نكن نجد في تلاحق ضرباتها انها مجهدة . كلا . ولكننا كنا نحس بالشوق يستغذها ونستشعر الفرحة وهي تداعبها فنجدها وكأنها ضائعة بهذا الكيان الذي يحبسها ويفرض عليها قيوده والتزاماته تواقة لان تنطلق في رحاب هذا البيت لائذة بالحرم كالحمام الوديع او محلقة في اجوائه كالملاك الطاهر أو مرفوفة حول قواعده كالنسمات العذاب ، ولهذا لم نكن نريد ان نجلس لنستريح وانما ذهبنا تحت خطى الشوق واللهفة الى المسعى المبارك ...

ووقفنا بين الصفا والمروة ...

وهو رواق بنيت سقوفه وجدرانه من المرمر الخالص وامتد في وسطه صفان الدرابزون لا يتعدى الفاصل بينهما المترين تتخللهما بين كل مسافة قصيرة فتحة متوسطة الاتساع من أجل مرور المستطرفين وكان اعداد هذين الصفين من أجل حصر السعاة الراكبين بينهما حفاظا على راحة السعاة المشاة . والسعي يختلف عن الطواف بحرية السير فيه أو الركوب فللانسان الساعي أن يختار الركوب اذا أراد حتى ومع تمكنه من السير وذلك ما لا يصح خلال الطواف الا عند العجز الكامل او الضرورة القصوى وكان هذا الرواق الطاهر يقع بين ربوتين أو جبلين مجدبين احدهما وهو الصفا تعتليه قبة منبسطة العمق والثاني الذي

هو المروة يكون سقفه مستويا الا من تعاريج البناء ويبلغ طوله حوالي الميل والنصف ومن الصفا كان يجب علينا ان يبدأ السعي فارتقينا هضبته المباركة وأدينا نية السعي قائلات « أسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط لعمرة التمتع الى حج الاسلام لوجوبه امتثالا لامر الله سبحانه وتعالى » ثم بدأنا نسير سيرا رتيبا يتخلله الدعاء والابتهال وكانت الاصوات من حولنا تتصاعد قائلة : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » ٠

فما أروع ان تصبح الخطوات وهي مسيرة مؤدية لشعائر الله وما اضخم الحقيقة التي يشترك في الانصياع اليها وجود الانسان بجميع ابعاده وجوارحه واحاسيسه ٠ انها حقيقة العبادة بشمولها الواسع لشخصية الانسان منها هو السعي لا يتطلب من الحاج سوى نقل أقدامه فوق ارض منبسطة ملساء ولكن ومع كل خطوة ترتسم صورة للعبادة وخلال كل شوط يسجل رقما لاداء الواجب ٠ وبعد ان انهينا اشواطا اربعة جلسنا على مرتفعات الصفا لنسترد شيئا من الراحة لاجسامنا واقدامنا التي ارهقها المسير ومن هناك انطلقنا نفكر ٠٠٠ فعدنا بأفكارنا الى حيث سعت السيدة هاجر أم اسماعيل وهي تفتش عن ماء تروي به ظمأ وليدها الغالي فهي تنطلق تبحث لتعود ٠٠ وتعود لتنطلق من جديد وهي في كل هذا موزعة القلب بين طفل ضامىء وأمل في وجود ماء ٠ نعم ٠٠ لقد لاقت هاجر الكثير

من التعب والنصب وتعرضت لشديد محنة واذى ولكن وبما ان ما لاقته وما تعرضت اليه كان في سبيل الله ومن أجل الانصياع الى أوامر الله فلا زالت كل هذه الملايين من الاقدام السائرة في كل موسم في كل عام ما زالت تتقصى آثار تلك الاقدام الطاهرة في مسيرتها المباركة ، ثم ألم تكن هاجر امرأة ؟ اذن أفلا يمكن لنا ان نعد هذا الجانب من الحج هو تخليد لجهود المرأة في عالم العبادة والفداء ثم الا يمكن لنا ان نعرف من هذا ايضا ان المرأة قادرة على رسم خطوط بارزة في ميدان العمل والجهاد ؟ وعدنا الى اكمال اشواطنا السبعة بعد فترة استراحة وتفكير ·· وانهينا الاشواط السبعة على هضبة المروة وكنا قد صحبنا معنا مقراضا صغيرا من أجل التقصير اذ يجب علينا عند الانتهاء من السعي ان نقصر قليلا من شعر رأسنا أو نقلم قليلا من أضافر يدنا · وقد احتطنا فجئنا بالتقصيرين وبذلك انتهينا من عمرة التمتع للحج ·· فالحمد لله على ما هدانا والشكر له على ما وفقنا اليه ··

★ ★ ★

وقضينا ثلاثة ايام في مكة بين زيارة وطواف حتى عصر اليوم الثامن من شهر ذي الحجة الحرام حيث كان علينا ان نذهب الى عرفات ·· ومع أن وجوب الوقوف في عرفات يبدأ مع زوال اليوم التاسع وينتهي عند الغروب ولكن عادة الحجيج هي الخروج الى عرفات عصر اليوم الثامن اي يوم التروية · وذهبنا بعد الظهر الى الحرم

المبارك وجلسنا امام الكعبة الشريفة ننتظر الغروب وسرح بي الفكر الى الواقع الرائع الذي نعيشه أفتراها كانت حقيقة واقعية جلستنا تلك ؟ وراق لي ان اكتب بضع كلمات على ورقة صغيرة حاولت ان اصور بها ما اعيشه من افكار انها اعز كلمات كتبتها خلال سفرتي تلك لانها كتبت عن كثب من الكعبة وانطلقت من اشرف بقعة في أقدس مكان وارتفع صوت أذان المغرب هاتفا بكلمة العزة الخالدة ٠ الله اكبر ، لا شيء اكبر من الله ، هذا الكبر الذي يقره الانسان لجبار السماء يشعره بالصغار أمامه تبارك وتعالىولكنه صغار تجاد الخالق وتواضعتجاد المخلوقين اذ انه عندما يعترف ان الله اكبر لا يعود يحس بكبر أحد سواه وهذا ما عناه الشاعر محمد اقبال في قوله « سجدة للاله تأبيك يا انسان من الف سجدة للعبيد » أية منعة هي هذه التي تسمو بروح الانسان فوق كل شيء لانه لا يعود يحتاج لشيء سوى الله ؟ واية صفة هي عنده التي ترتفع بمعنويات الفرد المؤمن حتى لا يعود يخضع لاحد أو يتنازل لاحد لان الله وحده اكبر ٠٠ ومن هنا نعرف مدلول الحديث النبوي الشريف الذي يقول « من اعطى الذل من نفسه فليس منا » واستجبنا للنداء الخالد فتوجهنا للصلاة على مقربة من الكعبة وذلك لان البيت كان غير مزدحم لكثرة من خرج الى عرفات من الحجاج وبعد ان انتهينا من الصلاة عقدنا نية الاحرام للحج قائلات « نحرم لحج الاسلام اداءا قربة الى الله تعالى » ٠٠ وخرجنا من الكعبة متوجهات نحو البيت الذي ننزل فيه ٠٠ وهناك

والى جوار المنزل كانت تقف سيارات النقل حيث سارت بنا نحو عرفات ..

★ ★ ★

كان الطريق الذي يفصل بين مكة وعرفة ليس بالطويل او البعيد ولعله لو اجنيز في الحالات الطبيعية لما استغرق اكثر من نصف ساعة مع اكثر التقادير ولكنه وفي تلك الليلة المزدحمة بالحجاج كان لا يكاد يقطع الا بعد جهد جهيد وزمن طويل . ولهذا سلك السائق بنا طريقا ملتويا علـه يكون أقل زحاما واكثر انفتاحا ولكن يبدو ان سائقنا لم يكن الوحيد الذي قصد هذا الطريق اذ وجدناه والحمد لله غاصا بالسيارات زاخرا بالحجاج. فدعونا الله ان يعظم شعائره ويزيد من هداية القلوب التي تهفو اليه . ووصلنا اخيرا الى عرفات .

وكان ظلام الليل يضاعف من هيبة تلك الصحراء التي لا يرى فيها سوى خيام بيضاء امتدت بينها شوارع رملية تتطلب الهداية اليها الى خبير ممن مارس طبيعة التربة ونشأ على بساطها الطاهر ، وتوقفت بنا السيارات الى جانب احد الشوارع ونزلنا منها نحمل في يد حقيبة ضمت ملابس الاحرام الاحتياطية والسجادة والمصحف وكتاب الدعاء ونحمل في اليد الثانية ابريقا فارغا لتهيئة الماء وسرنا وراء دليلنا نلف حول بعض الخيام وننعطف مع انعطاف الممرات التي بينها حتى وصلنا الى حيث الخيمة التي اعدت لنا ...

دخلنا الخيمة لنجدها مضاءة بالكهرباء ولكنها غير مفروشة ·· فتصاعدت من حولنا أصوات احتجاج قائلة ما هذا ؟ كيف نجلس ؟ كيف سوف ننام ؟ هذا وضع عجيب ! فألمنا ان نسمع كلمات الاحتجاج هذه بالنسبة لافتقاد مسواد ترف لا تأثير لها على طهارة تلك البقعة او قدسية تلك الليلة · ولكننا تمكنا والحمد لله وبشكل غير مباشر ان نشيع في الخيمة جوا من الدعاء والابتهال ولم تمض مدة طويلة حتى فرشت لنا الخيمة بالسجاد والرياش ومع ما كان لهذا الفراش من راحة جسمية فقد شعرت بانه شيء مرغوب فيه لواقع الحياة فهو يذكرنا من جديد بالحرص على نعومة العيش والتسابق على ما هو أحسن من وسائل المادة ولكن « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » ··

وأصبح علينا الصباح ونحن في عرفات وهو الموقف الوحيد الذي يتحتم ان يؤمه الحجاج في وقت واحد وخلال ساعات معينة منذ الزوال وحتى الغروب ·· فيا لها من حكمة في التشريع تهيىء للمسلمين فرصة اجبارية للاجتماع والتعرف على بعض فيتمكن الانسان المسلم خلال تلك الساعات ان يدرس عن كثب اخلاق اخوته المسلمين وعاداتهم وافكارهم ويتطلع على ما لديهم من جديد في مجالات العلم والعمل ثم ان المسلمين خلال ذلك ليتمكنوا وبسهولة ان يبحثوا مع بعضهم اهم مشاكلهم العامة ويضعوا لها حلولا مستقاة من حكمة الآخرين وتجاربهم ·· هذا لو اديت شعائر العبادة في الحج بمضمونها المطلوب طبعا ، وقد جاءت عدة

تفاسير للسبب الذي من اجله سميت هذه البقعة بعرفات ومن بينها تعارف المسلمين على أرضها المقدسة ، ومنها انها البقعة التي تعارف عليها آدم مع حواء بعد هبوطهما من الجنة ، ومنها انها البقعة التي نزل فيها جبرئيل على نبي الله ابراهيم وقال له اعترف لله بما لديك · وبما ان التفسير الاول هو اكثر الثلاثة صحة واقربه الى الواقع الذي تدل عليه سائر اعمال الحج · فنحن نأخذ به ولكن ومع كل الاسف ·· مع وقف التنفيذ فلماذا ؟

·· لان هذا المفهوم غير واضح في اذهان الحاج منهم لا يعرفون من عرفات سوى جانب الصلاة والدعاء من العبادة ، ولهذا فان اي اقدام على ذلك يعد تطفلا غير مستساغ اللهم الا في مجالات خاصة جدا ·· وانقضت ساعات النهار الاولى والجميع بين دعاء أو صلاة أو قراءة قرآن ·· والحقيقة ان ساعات الحج في عرفات لا تكاد توازى بثمن لانها بجميع دقائقها عطاء حيث يحلق الانسان بروحه بعيدا عن عوالم المادة وخدعها وغرورها فيروح يعترف بآثامه تارة ويستغفر منها اخرى وهو يتضرع الى الله تعالى قائلا « اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك واسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك »

وكيف يمكن لانسان ان يعبد ربا لم يره ؟ أنه يراه بالدلائل فأن قصرت الباصرة عن رؤيته فيجب ان لا تقصر البصيرة عن ذلك ، وهل تعرف السعادة الا بتقوى الله ·· ان تقوى الله هي التي ترسم للمتقي طريق الخير في الحياة وتحدد له خطوط مسيرته الفاضلة حيث توجد منه فردا

صالحا جديرا ان يكون نواة للمجتمع الصالح . ثم ينطق بحقيقة الشد الذي يشده نحو مولاه ويعترف بانقطاعه التام لرحمة الله الواحد القهار اذ يبسط يده بالدعاء قائلا : « أنت كهفي حين تعييني المذاهب في سعتها وتضيق بي الارض برحبها ولولا رحمتك لكنت من الهالكين » ·· وهكذا هو الانسان ـ هذا الانسان التائه في عالم الغرور الراكض في حياته وراء السراب الذي خيل اليه انه سوف يخرق الجبال طولا ·· هذا الانسان لا يستشعر حماية الله له وحاجته الى الله الا عندما تعييه المذاهب وتضيق به الارض · عند ذلك يتوجه الى القوة الوحيدة القادرة بعد ان يستشعر عجز ما عداها عن حمايته · وقديما قال الامام امير المؤمنين عليه السلام ·

« أدع الله في الرغبة كما تدعوه في الرهبة » ومن خلال هذه الدعوات يستشعر الحاج انقطاعه الى الله فيروح يدعوه بلسان أو بقه ذنبه واخرسه جرمه قائلا « فها أناذا يا الهي بين يديك يا سيدي خاضع ذليل حقير » شعور مطلق بالانقطاع الكامل التام لله تبارك وتعالى حيث لا مناص من الاعتراف بالذنب ولا فكاك من الشعور بالتقصير وحيث لا يعرف بهذا الشعور أو بذاك الاعتراف سوى الله وحده ·· ولهذا نجد ان ساعات الحاج في عرفات هي ساعات بناء للروح وصهر للافكار وتعقيم للقلوب وهي بالنسبة لمن هو في مستوى الحفاظ على مكاسبها الفرد راستند لها بالشكل الصحيح مرحلة انتقال من الظلمات الى النور وطريق ارتقاء من الحسن الى الاحسن فيا لها من ساعات

ومن العجيب ان نجد هناك من يحمل هما لطعام او شراب او فراش او مهاد ، الشيء المادي الوحيد الذي يحرص عليه الانسان هناك ويتمنى لو حصل على مزيد منه هو الماء نعم الماء · لانه الوسيلة الوحيدة الى الطهارة والطهارة هي من شروط صحة العبادة · والماء لم يكن وافرا بالشكل المطلوب لان المنطقة هناك لم يكن قد امتدت نحوها انابيب الاسالة ·· وكان على متعهد القافلة ان يهيىء الماء للحجاج ·· كان موضوع الماء مشكلة تثير الخوف لدينا من نفاذه ·· والمشكلة الثانية كانت المرافق الصحية !! حيث يتعذر على الانسان الدخول اليها والخروج منها سالما من النجاسات وحيث كان حجاج ثلاثة او أربعة من المتعهدين يقفون في انتظار اخذ أدوارهم والمرافق لا تتعدى المرفقين أو الثلاثة ··

وانقضى النهار وفي آخر ساعة منه باشر العمال في جمع الخيام مقدمة لنقلها الى منى وجلسنا كل الى جوار امتعتها تحت السماء وفوق الرمال وكنا خلال تلك الساعة نشعر بحسرة الوداع لهذه البقعة الطاهرة وتلفتنا حوالينا علنا نتمكن ان نحتفظ بأكثر مقدار ممكن من الذكرى وحان وقت الغروب فأدينا الصلاة وتناولنا شيئا من الاكل ثم نادى المنادي بنا قائلا ـ هيا نحو السيارات ـ فقد كان علينا ان نتجه من هناك الى « المشعر الحرام »

★ ★ ★

وسرنا نحمل امتعتنا يحدونا مساعد متعهدنا وهو يحمل بيده مكبرة للصوت يدنيها من فيه اكثر مما يجب فينبعث الصوت أجشأ غير واضح الحروف . ولهذا فقد كنا نسير باتجاه مشرجة مكبرة الصوت غير فاهمات ما تعنيه تلك الحشرجة .. كانت كل واحدة منا تحمل بالاضافة الى امتعتها الخاصة ابريقا مملوءا بالماء لاننا كنا في طريقنا الى مزدلفة وأصل تحصيل الماء هناك يكاد أن يصبح معدوما ولهذا فقد اخطرنا من قبل المتعهد ان نحمل أباريقنا ملأى بدل ان نحملها فارغة ! ومضينا نلف وندور بين الخيم والسيارات نبحث عن السيارات التي اعدت لنا فلا نتمكن ان نهتدي اليها لتشابه المواقف والمعالم وكانت ظلمة الليل تزحف نحو تلك البقاع بسرعة فتبعث في نفوسنا الرهبة والهيبة وتشعرنا بالخوف من الضلال في ذلك الليل الرهيب فنروح نحث الخطا وراء مكبر الصوت لا نلتفت يمنة ولا يسرة لكي لا ننحرف عن الطريق . وقد تجمعنا مع بعضنا وحرصنا ان لا نكون بعيدات كان صوت أحد مساعدي المتعهد يرتفع من ورائنا بين فينه وفينه وهو يقول – مزيدا من الانتباه الى الطريق – ان الانحراف عن الخط يعني الضلال – سيروا وراء الصوت الذي يحدوكم – .. نعم كان علينا ان نسير وراء مصدر الصوت الذي يحدونا وكان علينا ان نلم شملنا فلا نتفرق لكي لا نتعرض للضياع ولكن ألسنا دائما وأبدا مدعوين لان نسير وراء صوت الحق الذي يدعونا « والرسول يدعوكم لما يحييكم

بـه » ·· نجتمـع ونتقارب ونسير متكاتفين وراء صـوت غير واضح الكلمات يخـرج عن مثلنا لا يزيـد عنـا الا لقديـم معرفته في الطريق ثم نصم آذاننا عـن نـداء الرسول ·· هـذا النـداء الخالد الدائـم فـي دعوته لنـا للسير ورائه نحو الجنان ·· ما لنا نخشى الضلال لتحـذير من انسان ولا نخشى التيه الذي يحدونـا الى النار وقـد حذرنا عن ذلك كل نبي أو وصي نبي ؟ وما لنا لا نلتفت يمنـة ولا يسرة خشية ان تفتقـد آثـار الدليـل ونـروح خلال حياتنا العامة نتقلب يمينا وشمالا متجاهلين الامـل الالهي الذي يقول « فاستقم كما أمـرت » ·· وضلالنـا هنا ·· ما هي نتائجه يـا ترى ؟ نحـن مهمـا ضللنا أو انحرفنا سوف نجـد امامنا اناسا مثلنا لا تفرقهم عنا سوى الالـوان او الجنسيات او الاخـلاق والعـادات ·· امـا ضلالنـا عن مسيرة الحق فسوف يسلمنا الى أيدي ملائكة غلاظ شداد وسوف يعرضنا الى نـار نورها ظلمة وشرابها الصديـد وطعامهـا الزقـوم ·· فمـا أبعـد الفـرق بـين الضلالين ·· وما اجهلنا عندمـا نقتفـي هـذه الاثـار ونتجاهل تلك الحقائق ·

ووصلنا اخيرا الـى موقف السيارات حيث سارت بنـا نحو مزدلفة المشعر الحرام ·

ووصلنا الى مزدلفة والليل يكاد ينتصف لا لبعد فـي الطريق بل لازدحام فـي حركة المرور ومزدلفـة ليست سوى ارض منبسطة قاحلة لا شجر فيها ولا ماء ولا شيء

يعلو ارضها سوى الجـــبال حتى المخيمات التي تنتصب في منى وعرفات لم يكن في مزدلفة منها اثر والمزدلفـــة هي المشعر الحرام الذي نـزل فيـه قول الله تعالى ( فـاذا افضتم مـن عرفات فاذكروا الله عنـد المشعر الحرام ) وافترشنا البطانيات التي كنا نحملها بالاضافة الى ما حمله المتعهد من فراش معنا وجلسنا لكي نستريح قبل المباشرةبجمع الحصى · وكنا حينما نتجه بأبصارنا لا نجد الا اشباح الناس وهم بين منحني لجمـع الحصى على ضوء مصبـاح صغير في يده ·· وبين سائـــل يتحسس الطريـق نحـو جماعته ·· وكانت ملابس الاحرام البيضاء هـــي الوحيدة التي ترى في تلك الصحراء الواسعة ومـــن خلال سواد العتمة ·· وهنا ينبغي لي أن اعترف بالعجز عـــن تصور ساعـات مزدلفـــة وارضهـا وسمائها وروعتهـا وعطـائها وهيبتها وجلالها فهي وكما عشتهـا فـي تجربتي الخـاصة فـــوق التصويـــر والتمثيـل ·· ولا يمكـن لانسـان ان يفهمها الا اذا عاشها عـــن فهم وادراك ·· وبعـــد ان أرحنا اجسامنا مـــن تعب الطريق باشرنا بجمع الحصى لاجل رمي الجمرات وكان علينا ان نجمـع تسعة واربعيـن حصاة والمستحب ان نضيف اليهـا احـــدى وعشريـــن واحدة اخرى من أجل احتمال عدم اصابـة الرمـي ومضينا ننحني نحـو الارض نطـــلب الحصى · كـانت الحصـاة الواحدة أثمن لدينا مـن حبة اللؤلؤ لانهـا من مكمـلات حجنا وشروط صحتـه ·· امـا حبـات اللؤلؤ فلـــم تكـن لتجدينا شيئا فـــي ذلك المجال · ان هـــذه الحصيـات

التي نلتقطها من المشعر الحرام لكي نرمي بها الجمرات في منى ليست سوى رمز لسلاح من الايمان لنرمي به الشر والعصيان والخروج عن طاعة الخالق هذه المعاني التي ترمز اليها الجمرات ٠٠ ولهذا اراد التشريع الاسلامي ان يعلمنا باننا عن طريق الايمان وحده نتمكن ان نحارب الشر ونقابل الجور ٠٠ فالايمان هو الذي يتكفل بتسليحنا للمجابهة وتحصيننا ضد الانهيار ومن هذا نعرف الحكمة التي فرضت ان يكون الحصى من المشعر الحرام الداخل ضمن الارض المقدسة وكانت كل واحدة منا تحمل معها كيسا صغيرا من الخام أعد خصيصا لحفظ هذه الحصيات الثمينة فجمعنا المقدار المطلوب وحرصنا ان نغلق عليها الكيس بدقة واتقان ٠ ثم اضطجعنا لننام قليلا فان تواصل التعب من حقه ان يؤثر على التفاعل الكامل مع العبادة وكانت جنطتنا الصغيرة هي وسائدنا خلال النوم بعد ان افترشت كل واحدة منا نصف بطانيتها وتغطت بالنصف الثاني وابارقنا الثمينة جدا الى جوار رؤوسنا واستيقظنا قبل الفجر بساعتين فجددنا الطهارة وتوجهنا للدعاء وكان أروع ما قرأناه خلال تلك الساعات هي المناجاة السفرية المنسوبة الى الامام امير المؤمنين (ع) ففي هدوة ذلك الليل الرهيب وفي فضاء ذلك الافق الرحيب ومع الظلمة التي لا يلون سوادها سوى مصباح يدوي صغير كان من الرائع جدا جدا ان يرتفع صوت خاشع ليقول :

« الهـي لئن جلت وجمـت خطيئتي
فعفـوك عـــن ذنبي أجـل وأوسـع
الهـي تـرى حالي وفقـري وفاقتـي
وانت مناجاتـي الخفيـة تسمـع
الهـي لئـن خيبتـني وطـردتنـي
فمن ذا الذي أرجو ومـــن ذا يشفـع
الهـــي فانسني بتلقـين حجـتي
اذا كـان لي في القبر مثوى ومضجـع
الهـي اقلنـي عثرتـي وامـح حـوبتي
فـانـي مقـــر خـائـف متضـرع
الهـــي لان أقصيـتني وأهنتـني
فمـا حيلتـي يا رب ام كيـف اصنـع
الهـي وهـذا الخلـق ما بيـن نائـم
ومنتبـــه فـــي ليلـه يتضـرع
وكلهـــم يـرجـو نوالـك راجيـا
لرحمتك العظمى وفي الخلد يطمع »

... وحان وقت الصلاة فأديناهـا ودعونـا لاخـواننا من المؤمنين والمؤمنات .. ثم ارتفـع اذان الصبـح وكنـا نلاحظ بوضوح الخيط الابيـض وهـو ينبلج مـــن الخيـط الاسود وهنا تبدو بوضوح الحقيقة العلمية التي ترمـــز اليهـا الآيـة المبـاركة « نولـج الليـل فـي النهـار ونولج النهار في الليل » فان الايلاج يعني التداخـل التدريجـي وهكـذا هـو الامـر بانبثاق النـهار عـن الليل ودخـــول

الليـل على النهار ولهذا نجد الخط الابيض يلوح رويدا مـن وراء الافق الممتد · وكنا قد استصحبنا معنا بوصلة لتعيين القبلة ولهذا فقد اتجهنا نحو القبلة في ادعيتنا وصلواتنا وعلى هداها أيضا أدينا صلاة الصبح وبقينا ننتظر طلوع الشمس لان التشريع لا يجيز للرجال مغادرة مزدلفة قبل ذلك · وهذا التشريع مما تختص به الشيعة دون الفرق الاخرى مـن المسلمين ولهذا كانت السيارات تمتلىء بالحجاج وتغـادر المشعر عند بعد منتصف الليل حرصا على سهولة السير وتلافي حرارة الشمس والتمكن من الوصول الى رمي الجمرات بسهولة ·· وهنا احب ان اقف امام هذه النقطة التي اجدها مهمة جدا بالنسبة لاعمال الحج وتنظيمه وتوفير الراحة لكـل فرد مؤمن فالمرأة غير مجبرة شرعا على المكوث حتى الصباح كما حدثنا الرواة عن الامام جعفر الصادق (ع) : انه ارسل العلويات منذ الليل الى منى لكي يجتنبن مشقة الزحام ويوفر لهن المجال للرمي بسهولة · اذن فلماذا يفرض على كل امرأة ان تتحمل المصاعب التي تتولد عن التأخير من أجل الرجل وفي امكانها شرعا ان تؤدي واجبها وتأوي الى خيمتها في منـى والشمس لم تشرق بعد ! نعم الا يجدر بالرجال ان يحرصوا على ذلك فيهيأ للنساء ركب خاص ينقلهن في الساعات الاخيرة من الليل الى منى ؟

وعلى كل حال فقد ركبنا السيارات وسارت بنا لانقطع من الطريق نصف فرسخ الا وتقف نصف ساعة لانقطاع خط السير وكانت الشمس قد ارتفعت بحرارتها الكاوية والماء الذي معنا قد استنفذته الليلة الماضية وليس من السهولة بمكان ان يجتمع

العطش والحر والتعب لولا احساس الانسان بانه في طريقه الى عبادة وكان ذلك الصباح هو اليوم العاشر من ذي الحجة الحرام · اي يوم العيد · عيد للروح التي بلغت مطلوبها من الحج ، وعيد للقلوب التي تعيش مفاهيم الحج ، وعيد للانسان الذي يشعر بالسعادة لانه وصل الى هـذه البقاع وتمكن مـن العمل على ما يريده الله والا فان اجسام الحجاج خلال ذلك اليوم تكون في قمة تعبها وجهدها وهي بعيدة عن العيد بالمفهوم السطحي الذي يتعارف عليه · ومن نظافة الجسم أو جديد اللبس انه عيد بمفهوم العيد الصحيح عيد التكامل الروحـي للانسان ··· وارتفع النهار اكثر فاكثر والسيارة لا تتمكن ان تسير وكنا نجد الحجاج وهم يتركون ما يركبون لكي يقطعوا الطريق راجلين فوددنا لو تمكنا من السير ولكن ذلك كان يتطلب وجود دليل معنا ولم يكن في سيارتنا أي دليل اللهم عدى رجل واحد وكله المتعهد بمداراتنا ولكنه كان أعجز مـن ذلك بكثير وبعد لاي سمعنا صوت متعهدنا وهو يسألنا عـن راحتنا في الطريق وكان قد وصل مع مجموعة الرجـال فاقترحنا عليه ان يرسل معنا من يتكفل بايصالنا الى منى مشيا على الاقدام فهيأ لنا أثابه الله اثنين احدهما حاج مـن الحجاج والثاني احد المساعدين فنزلنا من السيارة وعرض على الباقيات النزول فامتنعن عن ذلك ولم تلتحق بنا سـوى سيدتين منهن فأصبحنا بمجموعنا سبعة ورجلين · وسرنـا وسط زحام الطريق يحدونا الامل في سرعة الوصول وقطعنا مسافة طويلة تخللتها الكثير من الصعوبات حتى وصلنا الى منى ·· ومنى بلدة فيها البيوت الصغيرة والعمارات الكبيرة

ومنها المحلات المتنوعة والمساجد المتعددة ولكنها بلدة صغيرة لا يمكن لها أن تستقبل عشرا من معشار هذا الحجيج ولهذا فقد انتشرت على شوارعها الخيم واتسع نطاق الخيمات من يمين البلد ومن شمالها الى حيث يرمي البصر وكان الدخول الى منى من خلال شارع يسمى بشارع العرب وهو طويل وعريض يمتد من بداية منى حتى نهايتها ..

وتتشعب منها جميع الشوارع الفرعية الاخرى ، وسرنا في هذا الشارع نفتش عن موقع خيمتنا الذي قيل أنه بالقرب من البريد وغير بعيد ايضا عن الجمرات .. وبعد ان ارهقنا السير طلب الرجلان منا ان نقف ليذهبا هما لاستطلاع الطريق فوقفنا الى جانب بائع مرطبات وكنا قد بلغنا القمة من العطش والظمأ والتعب فطلبنا منه ماء . فلم يلتفت نحونا وبعد ان كررنا الطلب مرات عديدة قال : لا يوجد عندنا ماء اشربوا بارد . مع ان الماء كان موجودا والثلج كان وافرا لديه . ولكن البارد كان من حقه ان يعرضه لربح اكثر . ومع اننا كنا نشكو من أعراض الزكام والسعال ولكننا اضطررنا الى شراء البارد لنروي به بعض ظمئنا بعد ان تعذر علينا شرب الماء . وامرنا لله الواحد القهار .

ووصلنا أخيرا الى الخيمة وكانت قد هيئت وفرشت منذ الليل فارتحنا قليلا وتناولنا وجبة صغيرة من الاكل ثم جددنا الطهارة وتوجهنا نحو رمي الجمرات ووقفنا أمام جمرة العقبة الاولى .. وهي نصب حجري مربع الاركان لا يكاد محيطه يتعدى الامتار الخمسة والستة « ويرتفع بمقدار مترين تقريبا »

وقد قام هذا النصب فوق هضبة ترتفع عن الارض بما يقارب الثلاث أمتار يحيطها سياج منخفض وعلى مقربة منه كان يبدو شامخا راسخا جبل العقبة حيث تمت بيعتا العقبة عندما كان النبي (ص) يجتمع في شعاب الجبل مع الانصار من الاوس والخزرج اثناء موسم الحج وكان من الواجب على كل حاج ان يرمي في حصياته السبعة متعاقبة نحو هذا النصب المرتفع فوق الهضبة ولهذا كانت الآلاف من الايدي تمتد لرمي حصاها الواحدة تلو الاخرى ٠٠ ومن العجيب أن لا تشتبه الحصوات على الرماة ولا يجهل الرامي مكان حصاته حتى يجدها تستقر في المكان المقصود أو يجدها قد هوت قبل ان تصل اليه فيعود ليرمي بدلا عنها واحدة ٠ ولم يكن الرمي مزدحما جدا لعدم وصول الكثير من الحجاج ولهذا تمكنا ان نصل الى مقربة السياج المحيط ورمينا حصياتنا بشكل هادىء ومطمئن والحمد لله ٠

وبعد ان انتهينا من الرمي كان علينا ان نعود ٠٠ والعودة تغرضنا لان نكون في مواجهة الرماة وذاك يعني ان نصبح معرضا للاصابة بالحصى التي ترمى من بعيد فتصيب تارة وتخطىء اخرى ومن الطريف أن بعض الحجاج كانوا يعقبون حصاهم بما لديهم من أحذية مخرقة أو نفايات متفسخة ولهذا فقد كان علينا ان نشق طريقنا بين الصفوف ونحن منحنيات تجنبا أن نكون مرمى لما يرمى به ( الشيطان ) وما ان تخلصنا من منطقة الزحام حتى وجدنا عددنا قد نقص واحدة ٠ فكدر ذلك علينا فرحتنا باتمام مهمة الرمي وتلفتنا يمنة ويسرة

نبحث عنها بعيون حائرة وسط هذه الجموع الغفيرة العدد المتباينة اللون واللغة ثم حاولنا ان نفتش فمنعنا الدليل الذي كان معنا عن ذلك وذهب هو يفتش عنها وسط المجاميع وكنا نحن نساء قافلة اليعقوبي لدينا ما يميزنا عن الآخرين وهو قطعة قماش خضراء كتب عليها اسم المتعهد واسم المطوف ٠ ومع ان صاحبنا المساعد لم يكن يعرف القراءة والكتابة ولكنه كان يشخصنا من طبيعة لون القطعة وصورة كتابتها فذهب لكي يجدها تقف في جانب من الجوانب وعاد يصحبها وهو يشعر بالانتصار لعثوره عليها بسهولة والحقيقة وحفاظا على الواقع نسجل شكرنا لهذا الانسان الذي استشعر مسؤولية حمايتنا لبضع ساعات هي من الصعوبة بمكان مع انه اجير لدى المتعهد لا اكثر ولا اقل أثابه الله على ذلك ووفقه للهداية في طريق الخير ٠٠ ولم نتمكن ان نعرف عنه سوى انه سائق سيارة استصحبه المتعهد مع سيارته الى مكة وانه ينادى بأبي حيدر ٠٠ وعلى كل حال فقد عدنا نحو الخيمة لنجد ان الركب لم يصل بعد وكان الظهر قد حان فادينا صلاتنا ثم وكلنا من يذبح الهدي بدلا عنا لتعذر ذلك بالنسبة لنا واوصيناه ان يحتسب ثلثها نيابة عن صديق كان قد وكلنا باحتسابه وثلثها الثاني نيابة عن فقير كنا قد طلبنا اذنه في ذلك قبال مقدار من المال والثلث الثالث نيابة عنا ثم توجهنا للنوم لان اعراضا للحمى والزكام كانت قد بدأت تتفشى بيننا شديدة عند بعضنا وخفيفة عند الاخرى ، وبعد الظهر بقليل وصلت بعض طلائع الركب وعصرا وصلت آخر وجبه منه٠ وبعد أن عرفنا باكتمال الهدي كان علينا ان نقصر ونحل احرامنا ٠ وفعلا فقد قصرنا وبذلك تحللنا من شروط الاحرام

عدى الطيب والنساء فان ذلك لا يصح الا بعد طواف الحج ٠

ونمنا ليلتنا تلك في منى وذهب مجموعة من الحاج بعد منتصف تلك الليلة نحو مكة المكرمة لاداء طواف الحج ولكن انحراف صحتنا خلال تلك الليلة منعنا عن الالتحاق بهم ٠٠ وفي صبيحة اليوم الثاني كان علينا ان نرمي الجمرات الثلاث الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى ٠٠٠ وموقع الجمرات ليس ببعيد عن مخيمنا والطريق الذي يفصل بيننا وبينه واضح المعالم مستقيم الشوارع ٠

وهذه من اكبر النعم التي من الله بها علينا ٠٠ ولهذا فقد توجهنا صباح اليوم الحادي عشر للرمي وحدنا وكان الرمي مزدحما جدا والناظر اليه عن بعد لا يجد سوى رؤوس مرفوعة وأيد ممتدة وحصى تنهال كالمطر على الجمرات ، منظر رهيب يومي بالكثير ٠٠ ووصلنا الى مقربة من الجمرة الصغرى فوقفنا ننتظر لحظة مناسبة نتمكن خلالها ان نلج هذه الجموع نعم هذه الجموع التي جاءت تؤكد على الجانب السلبي من العبادة ٠ فهي عندما طافت حول البيت وسعت بين الصفا والمروة اكدت على طبيعة مسيرتها في الحياة وانها دائرة بجميع اعمالها حول نقطة الهدف في اطاعة الله وانها تنطلق من الله لتعود اليه وذلك هو الجانب الايجابي جانب الطاعة الكاملة والانصياع التام للخالق جل وعلى ٠٠٠ وهنا ٠ هنا ، عليها ان تؤكد على الجانب السلبي من العبادة فهناك رسمت عبادتها كلمات الاطاعة ٠٠ الانقياد ٠٠ وهنا ترسم عبادتها كلمات رفض المعصية ورمي ما يعكر مسيرة الانقياد ٠٠ انه

الجانب السلبي ، فلا يكفي في مفهوم التوحيد الخالص ان يعبد الانسان ربه ويعبد معه سواه وليس من علامات العبادة الصادقة ان يطيع الانسان خالقه ثم لا يرفض ما يتعارض مع أمر الخالق ولهذا اشتملت أعمال الحج على الجانبين السلبي والايجابي ·· ثم هذا الاصرار على الرمي لايام ثـــلاث وبحصوات سبعة لكل مرة من المرات · ان هذا الاصرار هو بمثابة التأكيد والتشديد على رفض ماهو باطل ومحاربة كل ما يرمز الى الشر من قريب أو بعيد · انها عهود ومواثيق تعبر عنها هـذه الحصيات · وترمز اليها هذه الجمرات ولا يفوتنا ملاحظة الانسجام بين عدد اشواط الطواف والسعـي وبين عدد الحصى لكل رميـة وعدد ادوار الرمي · فالعدد في جميع ذلك لا يتعدى السبعة ، وهـذه حكمة نتمكن ان نفهم بها الموازنة التي ينبغي ان يحتفظ بها الانسان في نفسه · نعم الموازنة بين مستوى تقبل المعروف ومستوى رفض المنكر : انه تشريع كامل متجانس النواحي والاطراف ولكن مما يدمـي القلب ان نجد اكثر متلقي هذا التشريع غير واعين لحكمته وشموله الواسع · لـو كانت هـذه الايـدي التي تمتـد لترمي هذا النصب الحجري ·· لو كانت تمتد دائما وابـدا لترمي كل ما يرمز الى معصية الخالق اذن لما كان للشر مقر على الارض · ولكن ··

ووجدنا أخيرا منفذا تغلغلنا خلاله مقتربات نحو الجمرة ومن رحمة الله وعنايته بنا ان تمكنا من الوصول الى أقرب نقطة حيث أدينا واجبنا بسهولة وعدنا بسهولة ايضا · وكذلك كان الحال فـي رمي الجمرتين فالحمد لله رب العالمين ··

وبقينا ننتظر الليل لكي نعود الى مكة لاداء طواف الحج وبما ان المبيت واجب في منى فكان علينا أحد أمرين ·· اما ان نذهب عصرا ونعود قبل منتصف الليل واما ان ننتظر حلول منتصف الليل ثم نخرج بعد ذلك وقد اخترنا الشق الثاني فنمنا في بداية الليل ساعة أو ساعتين ثم استيقظنا بعد منتصف الليل بقليل فجددنا الطهارة وخرجنا بصحبة شقيق المتعهد وخمسةمن نساء القافلة ورجلين من رجالهن ·· واستأجر لنا صاحبنا سيارة اوصلتنا الى باب الحرم المكي ( باب سعود ) كان الطريق خاليا هادئا تنساب السيارة فيه انسيابا مريحا وكنا نشعر بالغبطة كلما اقتربنا من مكة ·· فقد كنا على موعد مع ساعات عبادة وعطاء ·· ودخلنا الحرم وكان لهيبته اكبر الاثر في نفوسنا وكاننا ندخله للمرة الاولى ·· وهذا من خصائص ذلك الحرم الطاهر فهو لا يفقد في نفوس داخلية هيبته وروعته مهما تكررت الزيارات وتلاحقت المشاهدات ·

وبدأنا نطوف ·· وكان طوافنا هذا اسهل من طوافنا الاول بكثير وذلك لقلة الزحام وهدوء الطواف ولهذا فقد ادينا طوافنا بسهولة لم نكن نتوقعها مطلقا وخرجنا من الطواف لنتجه نحو الصلاة · ووقفنا نصلي في أقرب نقطة من مقام نبي الله ابراهيم وبعد ذلك كان علينا ان نذهب نحو المسعى فاسترحنا قليلا ثم سمينا باسم الله وتوجهنا نحو الصفا والمروة وبدأنا نقطع الاشواط هناك جيئة وذهابا ·· وكان صاحبنا يحمل بيده علما اخضرا وهو يسير امامنا لكي لا نضل عنه ··

ولكن المجال لم يكن يدعو الى ذلك ولم يكن هناك اي خطـــر للضلال أو لم يكن للضلال أي خطر · وعلى كل حال ·· فقد سرنا داعيات مرة وساكنات اخرى حتى انهينا اشواطنا السبعة والحمد لله فهل انتهت أعمال الحج بهذا يا ترى · كلا فقد كان علينا ان نطوف طواف النساء · ولولا ان طواف النساء هو طواف حول الكعبة الشريفة فيه من القرب والخشوع الشيء الكثير لولا هذا لكان غير مرغوب فيه لان وجـوبه يأتي بعد ان يكون الحاج قـد صرف من الطاقات اكثرها · ولكن الشعور بالقرب من تلك البقعة المباركة لا بد وان يتغلب في نفس الحاج على كل تعب ونصب وطفنا طواف النساء ·· وكان الطواف قد ازدحم عن طوافنا الاول نسبيا ولكن وعلـى كل حال لم يكن بالشكل المتعب جدا ثم ادينا صلاة الطواف الواجبة وبذلك انهينا جميع اعمال الحج ·· عدى رمـــي الجمرات لليوم الثالث ··

أي شعور من الشكر والامتنان لله الواحد القهار يشعره الحاج عندما ينتهي من نطق آخر كلمة في تشهده من الصلاة؟ لقد أحسست بالضعة والعجز الكامل عن التمكن من شكر الله على هـذه النعمة فسجدنا سجدة الشكر ·· ولكن شكرنا لله يحتاج الى شكر ·· وذهب صاحبنا بعد الصلاة ليأتي لنا بكوز من ماء زمزم فيا لعذوبة ذلك الماء المالح !! عذوبة معنوية تنسي الشارب مرارته الحسية ·

وكنا نحس بمزيد الحاجة الى الماء فشربنا حتى ارتوينا وغسلنا منه وجوهنا ثم حمدنا الله من جديد ·· ولا يسعني

هنا الا ان اسجل كلمة شكر لصاحبنا شقيق المتعهد ذاك فقد عاملنا معاملة جيدة ووفر لنا في تلك الساعات جميع ما تمكن عليه من أسباب الراحة فأسأل الله تعالى ان يجزيه عنا خير الجزاء ٠٠ وللقارىء ان يتصور مدى حاجتنا في ذلك الوقت الى الراحة وهي لا تتم الا بالعودة نحو منى والطريق كان مهددا بالازدحام كلما قرب انتهاء الليل ولكن كان علينا ان ننتظر فان احد الحجاج الذي صحبنا في منى كان قد انفصل عنا بالطواف والسعي هو وزوجته وكان علينا ان ننتظره لكي نعود معا ٠٠ هكذا قال صاحبنا المتعهد ٠٠ وحفاظا على آداب المصاحبة وآداب الطريق فقد خضعنا للامر الواقع وجلسنا ننتظر ٠ وطالت المدة دون ان يتفضل صاحبنا فيمر علينا مرور الكرام حتى يئس متعهدنا من عودته واعتقد انه قد عاد بزوجته الى منى فخرجنا نسحب اقدامنا في الارض سحبا لشدة التعب والسهر وهيأ لنا صاحبنا سيارة نقلتنا الى مدخل منى حيث تعذر عليها أن تستمر لكثرة الزحام فنزلنا لنمشي ذلك الطريق الطويل ونحن متعبات مرهقات نعسانات مريضات ٠٠ ولكن ٠٠ واخيرا وصلنا الى الخيمة والشمس لم تشرق بعد فحمدنا الله على السلامة ٠٠ ووجدنا حاجتنا ( زوجة الحاج الفاضل ) تغط في نومة عميقة ثم استيقظت لكي تقول ( لماذا تأخرتم ؟ ) !!

وكنا في حاجة ماسة الى النوم فنمنا قريرات العين لتمكننا من اداء الواجب بالشكل الصحيح ٠٠ واستيقظنا بعد ساعتين لتناول افطارنا وكنا قد استعدنا بعض قوانا والحمد لله ٠

★ ★ ★

كان علينا ان نرمي الجمرات لليوم الثالث وبينما كنا نتحدث عن احسن وقت نتمكن فيه من الذهاب اذا بمجموعة من السيدات يدخلن الخيمة عائدات من الجمرات وكل واحدة منهن تنادي بالويل والثبور للازدحام المرير وصعوبة الوصول اليه ، فهذه تقول كدت اختنق ـ وتلك تقول ـ انه موت محقق ـ واخرى تقول ـ انـــه الهلاك بعينه ·· تهويل ومبالغة غير مستحبة أبدا ·· وتلفت حولي فوجدت الوجوه وقد علتها مسحة من القلق ·· وكأن اخواتي خيل اليهن ان هناك تطورا جديدا قد حدث في نطاق رمي الجمرات ·· وان صعوبة المرمى قد تصاعدت الى مستوى الموت والهلاك فاردت أن احسم فترة الانتظار المشوبة بالقلق ولهذا اقترحت عليهن الذهاب نحو الجمرات ·· فجددنا الطهارة لان من مستحبات الرمي هو أن يكون الرامي حافظا للطهارة ثم توجهنا نحن الخمسة نحو المرمى ·· كانت مهمتنا في ذلك اليوم هي اسهل منها في اليومين الماضيين فلم نلحظ من قريب أو بعيد أي أثر من آثار الهلاك أو الموت او الاختناق وخرجنا من محوطة الجمرة الكبرى صخبات ضاحكات لاننا بذلك كنا قد أنهينا جميع اعمال الحج ·· نعم انهيناها بالاصالة ولم نضطر الى وكالة وانهيناها باطمئنان ولم نتعرض فيها لشك أو نسيان ·· انتهينا منها واعيات ولم ننصرف عنها جاهلات ·· وأخيرا انتهينا منها راغبات في العودة غير برمات لشيء أو ساخطات على آمر من الامور ·· ولهذا كنا نضحك ·· ولهذا أيضا كنا نحس بالغبطة والسعادة ·· فالحمد لله على ما انعم واسدى · وعدنا الى الخيمة وهناك كانت الخيمة اشبه ما تكون بسوق خيري·

اذ ان مشتريات الايام الثلاث كانت قد انتثرت بين جوانبها ومشتريات تلك الساعات الاخيرة كانت مكدسة تنتظر الشد ٠٠ وعلى كل حال فما ان انتهينا من الصلاة والغداء حتى نادى المنادي بنا ان هيا نحو السيارات للعودة الى مكة ٠٠ وسارت بنا السيارة ونحن نودع في ابصارنا وافكارنا هذه المعالم الحبيبة ٠٠ فكم هو من الصعوبة بمكان ان ينظر الانسان الى ما يحب نظرة وداع قد لا يكون من ورائه لقاء ٠٠ هذا الشعور هو اقسى ما يحسه المفارق فيود لو تزود معه بأكثر مقدار ممكن من الذكريات ٠٠ وطلبنا من الله تبارك وتعالى ان يرزقنا العودة ثانيا ٠٠ ثم وصلنا الى مكة حيث آوينا الى غرفتنا في العمارة التي كنا ننزل فيها قبل الخروج الى عرفات ٠٠ وغرفتنا تلك صغيرة ٠٠ ونحن كنا بمجموعتنا سبعة ، وقد عرض علينا المتعهد منذ البداية ان نتنازل عن اثنتين منا أو ثلاثة يلتحقن في غرفة ثانية ولكنني وقد عز علي التفريق والتميز وصعب علي ان افترق مع من صحبتهن منذ بداية الرحلة رفضت ذلك وآثرت ضيق المكان مع الجماعة على سعته مع الفرقة ٠٠ ولهذا فقد كنت قد أخرجت أمتعتي الى الفسحة التي تجمع باقي الغرف لكي أوفر شيئا من المكان ٠٠ وكانت قد صادفت منذ ساعة ورودنا مكة قبل سفرنا الى عرفات صادفت بعض المتاعب من قبل اهمال بعض رجال القافلة ٠ اذ كان الواحد منهم يصعد في طلب زوجته او امه أو اخته ويدخل الشقة بدون استئذان ولا يهمه ان تكون هناك امرأة مارة او ان يكون هناك بابا من أبواب الغرف مفتوحا ولكنني وجدت ان هذا أمر لا يستحب السكوت عليه فطلبت من المتعهد ان يمنع ذلك وخولته ان يوجه الطلب باسمنا اذا كان يخشى من التأثرات ٠٠ ولكنه

استجاب للامر برحابة صدر ونادى في طابق الرجال قائلا : لا يصح لرجل ان يجتاز باب شقة النساء في الطابق الثاني ·· واستجاب الرجال لذلك والحمد لله فكان واحدهم يقف وراء باب الشقة ثم يطرقها مناديا على من يريد من السيدات كان هذا هو وضع غرفتنا في مكة ·· وكانت الشقة تحتوي على حمام واحد ودورتين للمياه ·· وليت هذا الحمام لـــم يكن موجودا لانه اصبح مصدر متاعب للجميع وطالما نجمت بسببه الكثير من الخلافات والنزاعات ·· أما ماء الشرب فقد كان مالحا جداوظني ان المتعهد كان قد عجز عن توفير ماء للشرب لكثرة ما تستهلك النساء منه لغسيل الملابس والاجسام ولهذا كنا نتجرع مرارة الماء وملوحته بصمت ·· ما دامت تـــلك المرارة بسبب من حلاوة العبادة ··· واصبح علينا صباح اليوم الثالث عشر ونحن في مكة ومكة بلدة تضفي على مـــن يؤمها جوا من الانطلاق الروحي والانشراح النفسي فهي بجميع معالمها محببة الى النفس قريبة الى الروح وعلى القرب منها يقع غار حراء ·· وهو على قمة جبل عظيم هائل الارتفاع واذا اردنا ان نعين موقعه في ذلك الجبل وجدناه ينحدر عـــن القمة من الجانب الثاني نازلا من الناحية الثانية لكي نجد فتحة الغار الصغير ·· هذا الغار الذي انطلقت مـــن بين جدرانه اقدس رسالة عرفها التاريخ فان احجاره هي تلـــك الاحجار التي استقبلت ميلاد شريعتنا الخالدة ·· حيث دخل اليها محمد بن عبد الله (ص) لكي يعتزل الناس وينصرف الى عبادة الله الواحد القهار ثم خرج عنها وهو حامل لرسالة السماء ··· هذه الساعات التي احتضنت محمدا داخل الغار

كانت هي الحد الفاصل بين الظلمات والنور بين الحياة والدمار فما اعظمها من ساعات كانت الارض خلالها قد تفتحت لتستقبل رسالة السماء ويا لها من خطوات تلك التي خطاها محمد بن عبد الله (ص) وهو خارج من هذا الغار ليطل على العالـــم برسالته مضيئا في معانيها مشاعل نور وواضعا من مفاهيمها سفن نجاة ·· نعم انه غار حراء حيث شقت في الجبل المؤدي اليه بعض خطوط ملتوية بين صخور واحجار يتمكن الصاعد ان يجد آثارها كلما صعد وحيث يطل الصاعد اليه على مكة بجميع مبانيها ومعالمها فيقف خاشعا امام تصوره لحقيقته الشامخة ·· حقيقة ان يكون الاسلام قد انطلق من بين هذه الاحجار الصلبة الجرداء ليهدد كسرى في ايوانه وهرقل في عزته وسلطانه كما وان الزائر في مكة يمكن ان يزور مقابر قريش حيث رقدت ام المؤمنين خديجة وفاطمة بنت اسد ام الامام امير المؤمنين واجداد النبي واعمامه ·· ووقفنا عند قبر خديجة الذي لا يكاد يعرف لولا بعض احجار صغيرة فوقه ·· وسرح بنا الفكر الى حيث كانت السيدة خديجة تحتضن الرسالة وتتبناها كما احتضنت صاحب الرسالة وتبنته من قبل ·· نعم السيدة خديجة هذه التي يعلمنا تاريخها ان للمرأة لو ارادت ان تكون ركيزة في وجود الامم وبأنية من بناتها ·

··ووقفنا على قبرها نتساءل : اين نحن من خديجة ثـم لنتساءل ايضا وبعد ان نعرف مدى البون الشاسع الذي يفصلنا عنها نتساءل اترانا مسلمات حقا ؟ وما هي علامات اسلامنا يا ترى ؟ ان الجانب الايجابي وحده لا يكفي لان يوجد مـــن الانسان انسانا مسلما حقا لان جميع العبادات المفروضة هي

مما ينفع الناس ويحقق لهم المصالح الخاصة والعامة ، أما الجانب الذي يحقق للفرد اسلامه ويخوله ان ينتسب الى الاسلام مانحا اياه احقية ذلك الانتساب هو الجانب السلبي من جوانب العبادة ·· والجانب السلبي هو ترك ما نهانا الله عنه واجتناب ما أمرنا الله باجتنابه ·· فهل نحن مسلمات حقا وكان علينا ان نبقى في مكة مدة ثلاثة ايام ثم نسافر بعدها متوجهين نحو المدينة المنورة ·· وفي اليوم المقرر للسفر ذهبنا الى الحرم الشريف لنطوف طواف الوداع ·

وكان المطر ينهمر بغزارة فيغسل جدران الكعبة ويضفي على الموقف بشكل عام هيبة جديدة من نوع فريد وكان الوداع قاسيا جدا لولا بصيص الامل في عودة اللقاء وقديما قيل :

« ما أضيق العيش لولا فسحة الامل »

★ ★ ★

وعدنا من البيت الحرام ونحن نلتفت وراءنا لنلقي آخر نظرة على ما نحب وكأننا مع كل لفتة كنا نجدد عهدا جديدا في الولاء ونؤكد وعدا مسبقا في وحدانية العبودية وخلوص الطاعة ·· كانت نظراتنا تلك حكاية عن قلوب عاشت سعادة الروح في القرب وها هي تسير نحو مرارة الشوق في البعد ·· حكاية أرواح وجدت راحتها حيث تسير منطلقة نحو مناها السحيق·· نعم لقد كانت تلك النظرات حكاية عسى ان يحققها الله لقلوب أملتها في صدق وأرواح اوحتها في اخلاص ·· وعدنا الى النزل حيث وجدناه صاخبا ثائرا يشوبه جو من التوتر وتنطلق من احدى زواياه ثورة عارمة

ونقمة مدمرة فراعنا الموقف وتساءلنا عن السبب ؟ ثم عرفنا ان بعض الحجاج كانوا قد اقترحوا على المتعهد ان يؤخر لهم نقلا خاصا بهم نحو المدينة وذلك عن طريق سيارة صغيرة مستقلة لكي يتجنبوا مضايقات المطار ويبدو ان هناك بعض المعاكسات الغير مقصودة قد حالت بينهم وبين مواصلة السير وتسبب ذلك في ضياع جوازات السفر العائدة اليهم !! ..

وجلسنا ننتظر انتهاء هذا الموقف المسرحي ولكن اين جلسنا يا ترى ؟ كان الفراش قد تجمع في ساحة الشقة مقدمة لنقله والامتعة قد رميت فوق بعضها استعدادا لتحميلها في السيارة .. فجلسنا على اطراف سجاجيد !! وأمرنا لله الواحد القهار .. بعد ان عرفنا اننا لا يمكن ان نخرج من مكة الا بعد الحصول على الجوازات الضائعة !! وكان لهذا الصخب واللغط اسوأ الاثر في تلوين انطلاقتنا الروحية التي عشناها في عيون مودعة دامعة وقلوب مشفقة خائفة .. فقد بدأ الماء يسري الينا ونحن نجلس وسط ساحة حرب نبالها الكلمات وقذائفها الدعوات .. وكلما حاولنا رد الغيبة أو تلطيف الموقف زاد الطين بلة حتى كاد أن يصيبنا شيء من ذلك الرشاش !! فسكتنا وأمرنا لله ولكن وضعنا النفسي كان قد تدهور جدا وبدأت اعصابنا تنذر بالارهاق . واخيرا وبعد ساعات طوال سمعنا بنبأ الحصول على الجوازات المفقودة فألف الحمد لله رب العالمين .. وانطلقنا من الشقة خفافا كأننا طيور طال بها السجن في قفص من حديد وذهبنا الى حيث كانت السيارات .. فصعدنا الى اماكننا فيها .. وسارت بنا على اسم الله وبركاته .. وبذلك غادرنا مكة تلك البقعة

الحبيبة ٠٠ ولكن شتان بين دخولنا اليها ملبيات وبين خروجنا عنها مرهقات متعبات ٠٠

★ ★ ★

وقبل آذان الفجر بساعة دعينا الى المضي نحو الطائرة فحمدنا الله على نهاية الانتظار واستقل كل منا مقعده في الطائرة النفاثة ( ترايدنت ) وبقينا ننتظر التحليق وكنا نأمل أن نصلي صلاة الفجر في المدينة لان المدة بين جدة والمدينة لا تستغرق اكثر من ثلاثة ارباع الساعة وطال بنا الانتظار والطائرة تأبى ان تقلع عن الارض وعرفنا ان هناك خلل يتطلب الاصلاح ٠٠ وبدأ السأم يدب الى نفوسنا ونحن نتابع الساعة خشية ان يتعارض وقت السفر مع وقت الصلاة ٠٠ وكدنا ان نقترح النزول الى ارض المطار لتأدية الصلاة لولا ان مضيف الطائرة أعلن عن عدم التمكن من اصلاح الطائرة وليس علينا الا الهبوط !!!

فنزلنا وعدنا من جديد نفترش امتعتنا وسط آلاف الحجاج وقضينا النهار بطوله هناك وبعد الغروب بقليل دعينا الى ركوب الطائرة فركبناها وقلوبنا وجلة خشية ان لا تكون قد برأت من عارضها بشكل كامل ولكنها وبعد دقائق اقلعت عن ارض مطار جدة ٠٠ وبهذا كنا قد توجهنا نحو المدينة المنورة٠

ووصلنا الى المدينة المنورة وهي تبعد عن جدة حوالي الـ (٤٢٠) كيلو متر ووقفت امام قبر الرسول (ص) ان من ابرز المشاعر التي يعيشها الانسان وهو ماثل امام القبر الشريف هو شعور الخجل والتقصير !! حينما يجد أن عليه ان يقدم

حسابا لقائده الذي يقف امامه ٠٠ نعم ان عليه ان يقدم حسابا عن الوديعة التي خلفها لديه وهو القائل ( اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا ) فكيف كان احتضانه لهذه الوديعة وما هو مدى تمسكه بهما ؟ وهل تراه وعى مضمون التمسك وعرف انه التمثل والطاعة والاستجابة كما يدعوان اليه ؟ سعيد ذلك الذي يجد نفسه وقد وفى لرسوله باحتضان مخلفاته والتمسك بهما ، نعم سعيد ذلك الانسان ويا لها من سعادة وهو يقف في بقعة طاهرة قال عنها الرسول (ص) ( بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ) ولكن لمن تتفق هذه السعادة يا ترى ؟؟ سؤال حبذا لو طرحه على نفسه كل زائر لتلك الرحاب وفي المدينة المنورة ايضا زرنا مراقد الائمة الاطهار الحسن المجتبى والامام زين العابدين وابي جعفر الباقر والامام جعفر الصادق عليهم أفضل الصلاة والسلام وكانت زيارتنا لمراقدهم الشريفة من وراء جدار البقيع حيث ان السلطة هناك لا تسمح للمرأة بالدخول الى تلك البقعة الطاهرة !!

وقد خصصت ساعات محدودة من كل يوم تفتح فيه الابواب لزيارة الرجال فقط ٠٠ وفي القرب من المدينة المنورة زرنا مقابر شهداء احد الابرار ومسجد قبا وهو أول مسجد بني في الاسلام ومسجد القبلتين حيث نزل الوحي فيه بتغير القبلة من بيت المقدس نحو الكعبة الشريفة ٠ وغيرها من الاماكن الشريفة وفي صبيحة اليوم الخامس فارقنا المدينة متوجهين نحو العراق وكانا لسان شكر لله عز وجل على ما وفقنا اليه٠

# انغـــام الرحيـــل

فـرصة العمر واغلى مطلب
تهب الانسان احـلى الارب

★ ★ ★

ايها الراحـــل عـن اوطانـه
لا هيـا عنها وعـن اخـوانه
لا يبـالي بجـوى تجنانـه
قـــاده الشوق الـى ايمانـه
سائرا نحو النعيم المرتجـى
فـي رحـاب الله او قبـر النـبي

★ ★ ★

فرصة العمـر واغلى مطلب
تهب الانسان احلـى الارب

★ ★ ★

ايهـا الراحـل سر نحـو النعيـم
نحو وادي زمزم نحـو الحطيم

نحو بيت الله والركن العظيـم
في رحاب الله ذي العفو الكريم
نحو سعي الحق أو نحـو الصفا
واذكـــر الله بقلب وجـب

★ ★ ★

فرصة العمر واغلـى مطلب
تهب الانسان احـلى الارب

★ ★ ★

ايهـا الراحل قـف جنب المقام
حيث ابراهيم قد صلى وصـام
ثـم صل فـي خشوع واحترام
واتجـه فيهـا الـى رب الانـام
واطلب العفـو مـن الرب الـذي
جعـل التوبـة عـتق المذنب

★ ★ ★

فرصة العمر واغلى مطلب
تهب الانسان احلـى الارب

★ ★ ★

أيها الراحـل ان جئت الصفـا
فاسع للمروة تبغي شرفـا

وابتهـل فيهـا بقلب قـد هفـا
نحـو عفـو الله اسمـى من عفا
ثـم قصر بعـد سبـع وانثنـى
شاكـرا للـه نيـل الطلب

★ ★ ★

فرصة العمر واغلى مطلب
تهب الانسان احلى الارب

★ ★ ★

ايها الراحل يهنيك المسير
نحو وادي خيبر نحـو الغدير
نحو بـدر احـد نحو البشيـر
نحو غار في حراء مستنير
بضياء المرسل الهادي الذي
شع نورا في بلاد العرب

★ ★ ★

فرصة العمر واغـلى مطـلب
تهب الانسان احـلى الارب

★ ★ ★

ايهـا الراحـل خذهـا فرصة
لـك واغنـم فـي ذراهـا عبرة
ودع الروح لتمضي حـرة
فـي سماء الحق تبـغي جنـة

عرضهـا طـولا كأرض وسمـا
وهـي تحيا بشعـور عـذب

★ ★ ★

فرصة العمـر واغلى مطـلب
تهب الانسان اعلى الارب

★ ★ ★

ايها الراحل هذي عرفات
فاغتنمها فرصة قبل الفوات
واشغلـن ساعتهـا بالدعـوات
واغسـل الذنـب بسيـل العبرات
جبـل الرحمـة فيهـا فـأتـه
رحمـة اللـه بقلـب وجـب

★ ★ ★

فرصة العمر وأغلى مطلب
تهب الانسان احلـى الارب

★ ★ ★

ثم عند الظهر قفها وقفة
تائبـا للـه فيهـا توبـة
واسكب الـروح عليهـا عبـرة
تغسل الذنب وتعطـي جنـة

لا يلقاهـا سوى قلب نقـي
واستقـم فيهـا لوقت المغـــرب

★ ★ ★

فرصـــة العمـــر واغلى مطلب
تهب الانسان احـــلى الارب

★ ★ ★

ايها الراحل ذي مزدلفـــة
نحوهـا فاطـــر الدجى في عرفه
يذكر الله بها من عرفـه
تائبـا عـن كـــل ما اقترفه
ليس فيها غير ارض وسما
وظـــلام وخشـــوع مـــرهب

★ ★ ★

فرصة العمر واغـــلى مطلب
تهب الانسان احـــلى الارب

★ ★ ★

انهـا ليلة سعـد وخشـــوع
وابتهـــال ودعـــاء وهـــوع
ومناجـاة الـى وقت الطلـوع
مـا احيلاهـا اراض وربـــوع
يستميل القلب فيها راحـــة
تزدهـــى مـن كـل زهـــر طيب

★ ★ ★

فرصة العمـر واغلى مطلـب
تهب الانسان احـلى الارب

★ ★ ★

ايهـا الراحل قد نلت المنى
اذ توجهت الى ارض منـى
مسجد للخيف يعطيك الهنـا
فيه تنسى كـل جهـد وعنـا
ايها الراحـل وارم الجمرات
فـي حصـا معـدودة للطلب

★ ★ ★

فرصة العمـر واغلى مطلب
تهـب الانسان احـلى الارب

★ ★ ★

وتـوجـه بعـدهـا للكعبـة
طـف وصل وابتـهل للتـوبـة
ثـم فـأت للصفـا والمـروة
واشكـر اللـه لهـذي النعمـة
ثم طف فيها طوافا ثانيا
ليس من جهد بها أو نصب

★ ★ ★

فرصة العمر واغلى مطلب
تهب الانسان احـلى الارب

★ ★ ★

ايها الراحل يهنيك الوصول
في رحاب القدس في قبر الرسول
فيه تسمو نحو باريها العقول
تنمحي الآلام والهم يزول
يهب الارواح امنا ورضا
وهو يروي كل قلب مجدب

★ ★ ★

فرصة العمر واغلى مطلب
تهب الانسان اعلى الارب

★ ★ ★

ايها الراحل زر تلك الرحاب
وبقيعا ما به غير التراب
فغدت جدرانه تحكي الخراب
وانمحت آثاره فهي يباب
وبه اربعة يرجى بهم
نيل عفو الله يوم التعب

★ ★ ★

فرصة العمر واغلى مطلب
تهب الانسان احلى الارب

★ ★ ★

# لـــن انثـــني

قسما وان ملىء الطريـــق
بمـا يعيق السير قـدمـا

قسما وان جهـد الزمـــان
لكي يثبـط فـــي عـزمـــا

أو حـاول الدهـر الخـؤون
بـأن يـريش الـــي سهـما

وتفاعلت شتى الظـروف
تكيـــل آلامـا وهمـــا

فتـراكمت سـحب الهمـــوم
بـأفـق فكـــري فـادلهمـا

لـــن انثـني عمـــا أروم
وان غـدت قـدماي تـدمـى

كـــلا ولـن أدع الجهـــاد
فغـــايتي أعـلى وأسمى

★ ★ ★

انـا كنت أعـلم ان درب
الحـق بالاشواك حافـل

خـال مـن الريحان ينشر
عطـره بيـن الجـداول

لكنني أقـدمت أقفـو السيـر
فـي خطـو الاوائـل

فلطالمـا كان المجاهـد
مفـردا بيـن الجحافـل

ولطالمـا نصر الالـه
جنوده وهـم القلائـل

فالحـق يخلد فـي الوجود
وكـل مـا يعـدوه زائـل

سأظـل أشدو بـاسم اسلامـي
وأنكـر كـل باطـل

★ ★ ★

اسلامنا أنت الحبيب
وكـل صعب فيـك سهـل

ولاجـل دعوتـك العزيـزة
علقـم الايـام يحـلو

لـم يعـل شيء فـوق اسمـك
فـي الدنـا ، فالحـق يعلـو

وتطبـق الدنيـا مبادئـك
العـزيزة وهـي عـدل

وسينصر الرحمن جنـد
الحـق مـا ساروا وحلـوا

السيخلـهن يـن الالـه
وكـل مـا يعـدوه يبلـو

وأظـل باسمـك دائمـا
أشـدوا فـلا ألهـو وأسلـو